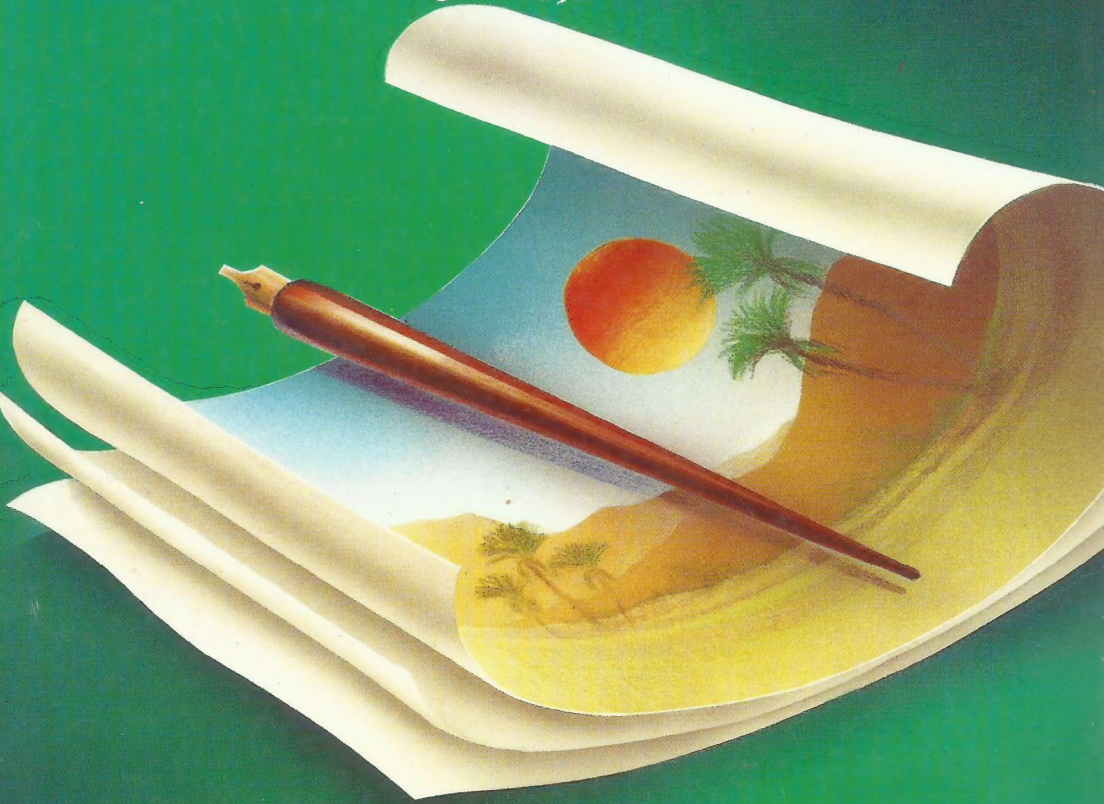


دراسيات أدبيّة - هـ

ديوان

الحال ترا بن جبر الانكسار

وما وصل إلينا من نثره



دار الفنون

للتشريف والطباعة والتوزيع
الرياض

جمع وتحقيق ودراسة
الدكتور منجد مصطفى بخت

ديوان
الحالترابن جبر الاندلسي
وما وصل اليه من ثمة

(ج) دارالرفاعي للنشر والتوزيع، ١٤١٩هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

ابن جبير ، محمد بن أحمد

ديوان الرحالة ابن جبير الأندلسي وما وصل إلينا من نشره / تحقيق منجد مصطفى بهجت . - الرياض .

... ص : .. سم

ردمك : ٨ - ٦٦٢ - ٩٩٦ .

١ - الشعر العربي - قصائد ٢ - ابن جبير ، محمد بن أحمد أ - بهجت ، منجد

مصطفى (محقق) ب - العنوان

١٩/٢٠٤٩

ديوي ٦١ ، ٨١١

رقم الایداع: ١٩/٢٠٤٩

ردمك : ٨ - ٦٦٢ - ٩٩٦ .

دراسات أدبية - ٥

ديوان

الحال ترا بن جبر الانلسي

وما وصل الينا من نثره

جمع وتحقيق ودراسة
الدكتور منجد مصطفى هجت

تقديم
الدكتور عمار الدين خنبل

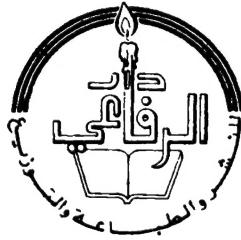
دار الفرقان
للنشر والطباعة والتوزيع
الرياض

جَمِيعُ حُقُوقِ الطَّبْعِ مَحْفُوظَةٌ

الطبعة الأولى

١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م

جميع حقوق الطبع محفوظة ، غير مسموح بطبع أي جزء من أجزاء هذا الكتاب ، أو اختزانه في أي نظام لاختزان المعلومات واسترجاعها ، أو نقله على أي هيئة أو بأي وسيلة سواء كانت الكترونية أو شرائط ممغنطة أو ميكانيكية ، أو استنساخاً ، أو تسجيلاً ، أو غيرها إلا في حالات الاقتباس المحدودة بغرض الدراسة مع وجود ذكر المصدر .



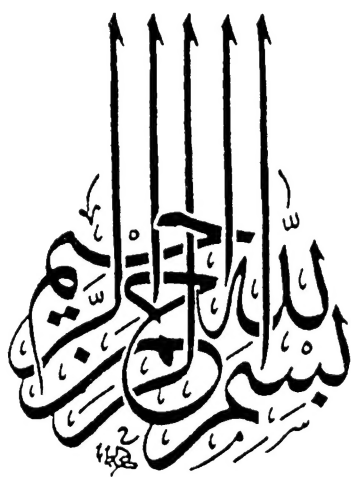
دار الفكر

للنشر والطباعة والتوزيع

ص . ب : ١٥٩٠ - الرياض ١١٤٤١

تليفون : ٤٧٨٨٨٣٣ - فاكس : ٤٧٩٤٣٢١

المملكة العربية السعودية



تَقْدِير

١

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ؛ وبعد :

فمن منا لا يعرف ابن جبير رحالةً جواكباً للآفاق ، أو يتعامل معه شاهداً جغرافياً على عصرٍ يعد بالكثير ؟ !

إن اسمه يرتبط ، حتى في أذهان الصغار ، مقترباً بخلفه المغربي ابن بطوطة الطنجي .. يلتصق الاسمان كنجمين متآلقين في سماء المغرب ، منحدرين من هناك صوب مشارق الأرض الإسلامية لكي يطلأ عليها ، عن قرب ، ويحكيا عنها شيئاً كثيراً ..

إن المغرب يردُّ الدين .. لقد أخذ عن المشرق الكثير ، وها هو ذا يريد أن يعطي .. ولقد كان عطاؤه - بحق - سخياً موفوراً ..

وليس بمقدور باحث يكتب عن عصر الحروب الصليبية إلا ويجد نفسه مضطراً للرجوع إلى واحدٍ من أكثر شهود هذا العصر أهمية : ابن جبير الذي قدَّم بِلُغَةٍ الشاهد الجغرافي المعايين عن كتب الكثير من التفاصيل عن عالم الإسلام في النصف الثاني من القرن السادس الهجري .

هذا كله أمرٌ معروف تماماً ، ولكن ما هو ليس بمعروف للكثيرين ممن تعاملوا مع الرحلة الخصبية ، أن صاحبها شاعر ، وأن شهادته أطلت على العصر بمنظور آخر موازٍ هو المنظور الشعري الذي مهما تضخمت في زجاجته

الذات على حساب الموضوع فإنه يبقى ضرورياً للمؤرخ الذي يريد أن يعرف أكثر عن هذا العصر !

إن الدكتور منجد مصطفى يضع بين أيدينا الآن ديواناً لابن جبير - وشيئاً قليلاً من نشره الفني - ديواناً توشك أبياته أن تربو على الخمسمائة عدداً ، وهي في استقصاء الرجل نزرٌ يسير مما قاله ابن جبير وأشار إليه المؤرخون ، وقد يكون آل إلى الضياع .

ولكن لا بأس ، فإن هذه الثروة الشعرية التي عكف المحقق على لها من هنا وهناك ، ووضعها بين دفتي كتاب ، مدروسة ، مضاعة ، متسلسلة ، جاهزة ، لتقدم - إذا توخينا الحق - خدمة معرفية باتجاهات ثلاثة :

أولها : أكاديمي صرف يسعى إلى جمع وتحقيق ودراسة تراث شعري مبعثر هنا وهناك ، ويمجرد إلقاء نظرة على مقدمة هذا الكتاب وعلى قسميه الأساسيين : الدراسة والنص ، وتهميشاتهما ، فإنه سيتبين للمرء كيف اجتاز الباحث امتحانه محققاً بنجاح ، وقدم للدارسين والقراء نصاً شعرياً لا تعوزه إضافة قد تشرح هذه المفردة وتعرف بذلك العلم ، وتضيء هذه الواقعة أو تلك .

وثانيها ، الذي هو بالضرورة امتداد للأول ، وضّح مادة شعرية ذات قيمة تاريخية إلى حد ما ، يمكن أن يفيد منها المؤرخ الذي يجد أن من مستلزمات مهمته في رصد الظواهر والأحداث ذات الطابع التاريخي أن يرجع إلى شهادة الشعر ، لأنها في نهاية الأمر انعكاس - بدرجة أو بأخرى - لمعطيات العصر الذي تتخلق فيه .

أما الثالثة الخدمات المعرفية ، والتي هي في الحق أكثرها أهمية ، فهي أن محاولة الدكتور منجد هذه ، بشروطها التحقيقية الدقيقة ، تضع بين يدي المعنيين - على وجه الخصوص - بالأدب الإسلامي الملتزم ، وأصوله

التراثية ، ثروة شعرية طيبة ، تسهم ولا ريب في تجذير حركة الأدب الإسلامي المعاصر ، وتعدّ امتداداً لمحاولات أخرى تمت وسوف تتم بإذن الله في هذا السياق^(١) ، ولذا سأقف عندها لحظات .

إن الشعر الذي يطرحه ابن جبير في ديوانه المجموع هذا يوسّع مدى المعطيات الأدبية الإسلامية ، فهي كما تؤكد متابعة أغراض هذا الشعر ، ليست مقتصرة على موضوع دون موضوع ، كما أنها بالضرورة ليست مأسورة في زمن دون زمن ، ولا مقيدة بمكان دون مكان .

فنحن ها هنا لسنا في عصر الفتوحات الإسلامية ، حيث يتصور بعض الإسلاميين أن تراث الأدب الملتزم يمكن أن يوجد هناك بالدرجة الأولى . كما أننا إزاء معالجات ، وإن كانت متزامنة مع واقعة الحروب الصليبية كتحدّ خطير للإسلام ، فإنها تتنوع ، بحيث تمس هذه التجربة ، لكنها لا تقف عندها ، وإنما تمضي لكي تتحدث عن مواضيع شتى بالالتزام نفسه ، وبالحرص ذاته على كل ما هو إسلامي أصيل .

على مستوى المكان ، فإننا ها هنا لسنا في جزيرة العرب ، مهد النبوة ، ولا في الشام والعراق ومصر وفلسطين ، أرض الفتح المبين ، ولكننا في الأندلس في أقصى المغرب ، نستمع إلى النداء نفسه ، ونتعامل مع

(١) انظر على وجه الخصوص الأعمال التالية :

د. مجاهد مصطفى بهجت : التيار الإسلامي في شعر العصر العباسي الأول (وزارة الأوقاف ، بغداد ، ١٩٨٢ م) .

وحكمت صالح : دراسة فنية في شعر الإمام الشافعي (مطبعة الزهراء ، الموصل ، ١٩٨٣ م)
ود. مصطفى عليان : مقدمة في دراسة الأدب الإسلامي (دار المنارة ، جدة - ١٩٨٥ م) .

ود. عمر عبدالرحمن الساريسي : نصوص من أدب عصر الحروب الصليبية (دار المنارة ، جدة - ١٩٨٥ م) .

ود. منجد مصطفى بهجت : الاتجاه الإسلامي في الشعر الأندلسي في عهدي ملوك الطوائف والمرابطين (مؤسسة الرسالة ، بيروت - ١٩٨٦ م) .

الوجدان الإيماني ذاته ذلك الذي صنعه الإسلام ، والذي يحكي بلغة الشعر عن الهموم نفسها تلك التي تحدث عنها صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم زمن النبوة .. المجاهدون في سبيل الله أيام الفتح .. المدافعون عن حرماته عصر الغزو الصليبي .. الواقفون على التخوم قبالة الرعب المغولي .. الموغلون في أعماق أوربا تحت رايات العثمانيين .. المتصدون لهجمات الاستعمار في مشارق الأرض الإسلامية ومغاربها في القرون الأخيرة ..

ويجب أن نتذكرها هنا أن المحقق يتحرك على أرض يعرفها جيداً ، فهو قد سبق وأن سبر نسيج الشعر الإسلامي في الأندلس في عصر الطوائف والمرابطين ، وخبره جيداً وهو يتعامل معه في دراسته الأكاديمية الموسومة بـ (الاتجاه الإسلامي في الشعر الأندلسي ..) ، من ثم فإن الرجل يعرف ما يقول وهو يتحدث عن هذه المسألة أو تلك من شعر ابن جبير على مستويي الشكل والمضمون ، فلنكتفِ إذاً بالتأشير على بعض ملامح هذا الشعر ما دام أن المحقق في دراسته إياه قد كفانا مؤونة الدخول في التفاصيل التي هو أحق بها وأهلها .

يبدو أن ابن جبير في قطعه الشعرية الصغيرة التي لا تعدو البيتين أو الثلاثة والأربعة ، وتتجاوز هذا الحد في أحيان قليلة ، كان متأثراً بالإمام الشافعي - رحمه الله - ، أو امتداداً له على أقل تقدير ، ولعله يجري كما يرى دارس شعره « على أسلوب كان شائعاً في عصره أولع به شعراء

الأندلس : ابن زيدون وابن اللبانة وابن خفاجة وغيرهم » .. فهؤلاء جميعاً كانوا يعنون في هذه القطع ما أسماه النقاد القدماء بالحكمة ، وما يمكن أن يسمى في العصر الحديث بالشعر التعليمي أو القيمي . ولا يذهبن إلى الظن أن الأمر مادام كذلك فإننا سنقرأ نظماً لا شعراً ، أو أننا بإزاء توظيف للأداة الشعرية يبعد بها شيئاً فشيئاً عن مطالبها الفنية ونبضها الوجداني باتجاه الدعوة إلى هذه القيمة الخلقية والإرشاد الاجتماعي أو تلك .. هناك حيث يتضخم المضمون على حساب الشكل ، ونجد أنفسنا إزاء مقطوعات من الشعر تفتقر إلى الدم وتعاني من التضحل والهزال .

إن تصوراً كهذا مرفوضٌ ابتداءً ، وإننا بمجرد قراءة بعض هذه القطع سنجد واضحاً أن الأمر يختلف تماماً ، ليس لأن الشافعي أو ابن جبير أوغيرهما يمتلكون خبرة شعرية متميزة ، ولكن لأن التعامل مع « الحكمة » التي هي خلاصة التجربة البشرية في هذا الجانب أو ذاك من جوانب الحياة اليومية المعاشة .. هذا التعامل يمكن أن يكون سلاحاً ذا حدين : فأما حده الأول فهو المباشرة التي تجنح بالصياغة الشعرية صوب المناقص الفنية التي أشرنا إليها ، وأما حده الثاني فيمكن أن يقفز بهذه الصياغة إلى القمة ! ولنتذكر - على سبيل المثال - حكميات المتنبي ، فإنها من بين شعره الخصب الجزل ، متألفة تهز وجدان الأجيال ، وتملأ إحساسها بطعم الفن العذب المؤثر الجميل .

ذلك أننا هنا لسنا إزاء محاولة تعليمية حرفية صرفة كما نجد مثلاً في ألفية ابن مالك .. إن الحكمة شيء آخر تماماً ، وإن إعادة تركيبها في لغة الشعر يختلف كليةً .. إنها خبرة حيوية وليست عقلانية صرفة .. وطالما تعامل الشاعر مع الحياة ، وكان يمتلك في الوقت نفسه أدواته الفنية بشكل جيد ، قدر على اجتياز التجربة بنجاح وارتفع بالتعبير الشعري إلى

المستوى المطلوب الذي لا يخفت فيه نبض الشاعرية .. بالعكس ، فإنه بتركيزه البالغ الذي هو أحد المطالب الفنية ، قد يجعل البيت والبيتين يهزان العقل والوجدان .

وبالمقابل ، فإن التعامل بفجاجة فنية مع الحكمة سيؤول ولا ريب إلى مثلبة كهذه ، وسنجد أنفسنا إزاء شعر تعليمي قد يعيننا على حفظ سُلّم القيم الخلقية بسرعة أكثر ، ولكنه لا يمنحنا طعماً شعرياً !

إننا نتذكر هنا عبارات الباحث الغربي رينيه ويليك عن العلاقة بين الأفكار والخبرات الكبيرة وبين الأدب ، إنه يؤكد - كذلك - أن ثمة خيطاً رفيعاً يفصل بين حالتي الخصب الفني والضمور ، وذلك يكمن في طبيعة تلبس الفكر في نسيج العمل الأدبي .. فإذا عرف الأديب كيف يحقق التطعيم بشكل عفوي ، دونما أي قدرٍ من المباشرة أو التقمُّ .. إذا عرف كيف يحقن الكلمات والتعابير والموسيقى بالأفكار والخبرات كطبيب متمرس ، ولا يكاد يجعل المرء يحسّ بأن هنالك تحميلاً للبناء الفني بما هو فوق طاقته أو خارج عن مقتضياته ، فإنه سيبحث إلى الوجود بعمل جليل حقاً ، وإلا فإنه التوظيف السيئ الذي قد يقود العمل إلى التيبس ويضعه في خانة التعليم ..

يقول ويليك : « .. لعلّ الفلسفة أو المضمون الأيديولوجي ، في السياق المناسب ، تزيد القيمة الفنية ، لأنها تعزز قيمة فنية مهمة متعددة : قيم التركيب والتلاحم . إن البصيرة في الأمور قد تزيد في عمق نفاذ الفنان وفي اتساع مداه ، لكنها قد لا تكون كذلك ، فقد يتشوش الفنان من الأيديولوجية الفائضة إذا ظلت بدون تمثّل .. وعلى كل حال تتوهج الأفكار أحياناً في تاريخ الأدب - ولنعترف أنها حالة نادرة - ولا يقتصر دور الأشخاص والمشاهد على التمثيل فقط ، بل إنها تجسد الأفكار تجسيدا

عملياً ، وعندها يحدث أن تتم المطابقة بين الفلسفة والفكر فتسمى الصورة مفهوماً ويصبح المفهوم صورةً ..»^(١) وما لنا ألا نرجع إلى محاولات ابن جبير نفسه لكي نرى ما الذي فعله في هذا المجال ؟

إن أول ما يلحظه القارئ هو غزارة ما قدّمه الرجل ها هنا ، وتكاد تبلغ قطعه الشعرية الحكيمية الصغيرة الثلاثين عدداً فضلاً عما تضمنته مقطوعاته الأكبر حجماً ، والتي تعالج مواضيع أخرى ، من حكميات منبثة في ثناياها ، ويمقدور المرء أن يرجع إلى القطع التالية وفق التسلسل الذي اعتمده المحقق (٤ ، ٥ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١٣ ، ٢٠ ، ٢٢ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٣١ ، ٣٤ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٩ ، ٤٢ ، ٤٤ ، ٥٢ ، ٥٦ ، ٥٩ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤) لكي يختبرها بنفسه .

ولن نكون موضوعيين إذا قلنا بأنها جميعاً قد اجتازت تجربة التعامل مع الخبرة بنجاح ، أو أنها جميعاً تنحدر باتجاه التعليمية والمباشرة ، وبالتالي فإننا قد نقرأ ما يمنحنا بالفعل شعراً ، وقد نقرأ ما يعلمنا ، ولكنه يخرج بنا من مملكة الشعر ..

ويكفي أن نقرأ - على سبيل المثال - هذه الأبيات :

أما في الدهر معتبرُ	ففيه الصفو والكدرُ
فسلني عن تقلّبه	فعند جهينة الخبرُ
صحبناه إلى أجل	نراقبه ونحتـذرُ
فيا عجباً لم تحل	ولا يدري متى السفرُ

أو هذه :

أراك من الحياة على اغتراب وما لك بالإنابة من بـدارِ

(١) أوستن وارن ، ورونيه ويليك : نظرية الأدب ص ١٥٨-١٥٩ ترجمة محيي الدين صبحي ، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب ، دمشق ١٩٧٢ م .

وتطمع في البقاء وكيف تبقى وما الدنيا لساكنها بدار؟
أو هذه :

عليك بكتمان المصائب واصطبر عليها فما أبقي الزمان شقيقا
كفاك من الشكوى إلى الناس إنها تسرّ عدواً أو تسوء صديقا
أو هذه :

الناس مثل ظروف حشوها صبر وفوق أفواها شيء من العسل
تفرّ ذائقها حتى إذا انكشفت له تبين ما تحويه من زغل!
ويكفي أن نقارنها - على سبيل المثال كذلك - بهذه الأبيات :
تنزّه عن العوراء مهما سمعتها صيانةً نفس فهو بالحرّ أشبه
إذا أنت جاويت السفينة مشاماً فمن يتلقى الشتم بالشتم أسفه
أو هذه :

قل إذا جئت مجلساً وسمعت المزاح مَهْ
واجتنب كل موردٍ فيه تلقى المزاحمَهْ

يكفي هذا وذاك لكي يعرف المرء أن شعر ابن جبير الحكمي ليس
سواء . وقد يتبادر إلى الذهن إنه ليس من حق أحد على الشاعر أن يمارس
مع شعره الحكمي تصنيفاً كهذا .. ذلك أن طبيعة الخبرة التي يصوغها شعراً
هي التي تتحكم في نهاية الأمر بالمستوى الفني للأبيات ، وقد يرد على
هذا الاعتراض بأن الشاعر الجيد هو ذلك الذي يعرف كيف يتحاور مع
الخبرات الأكثر عمقاً وتأثيراً والأقدر على دخول ساحة الشعر ، وأن يتجاوز
الجزئيات الأخلاقية الاجتماعية الصرفة لكي لا تهبط بشعره عن سويته
المطلوبة ، فإن جزئيات كهذه ليست من مهمة الشاعر على أية حال .

كذلك الأمر في الموضوعات الإسلامية التي يعالجها ابن جبير بقطع شعرية ذات أبيات أكثر عدداً تتدرج بين الأربعة والخمسة - وربما البيت الواحد - وبين الخمسين والستين ، والتي يبدو فيها التزامه الواضح بالإسلامية امتداداً طبيعياً لحكمياته الموجزة .

فبالرجوع إلى القطع المرقمة (١٨ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٨ ، ٣٠ ، ٣٩ ، ٤٤ ، ٦٠ ، ٦٥ ، ٦٧ ، ٦٩ ، ٨٢) نجد المنحنى الشعري للرجل يرتفع بأفكاره حيناً ويهبط حيناً ، يرقُ ويشفُ ويزوبُ وجدانية حيناً ، ويغلظ ويباشر ويحشد الأفكار حيناً آخر ، حتى ليكاد يغدو ناظماً لا يأخذ من مطالب الشعر إلا تفصيلاته ويحوره وقوافيه ..

إننا نجد مثلاً في القصيدة الثالثة والعشرين واحدة من أكثر قصائده غزوبة وعفوية وصدقاً فنياً ، وقد زادها بحر المتقارب المشجي - الذي يكثر الرجل منه في ديوانه - جمالاً شعرياً !

كذلك الحال في رائيته الطويلة التي أبدعها وقد شارف مدينة رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام .. فلعل حُرَّ التجربة والاكتواء بنارها ما يجعل أية قصيدة تقال .. تتوهج كالجمهر هي الأخرى .. وإلا فمن ذا ، من شعراء عالم الإسلام كله ، يوشك أن يبلغ مدينة نبيه وقائده ومعلمه ، ثم هو لا يكاد يذوب وجداً وتذوب معه في نار الشعر كلماته وأبياته وقوافيه ؟ فلو أننا عبرنا زمن ابن جبير إلى زمن البوصيري ، إلى همزته المتألقة التي صاغتها ذكرى الرحيل إلى مدينة الرسول ﷺ ، فإننا سنجد شاعراً واحداً لا شاعرين ، وجداناً واحداً يبدع الشعر لا اثنين ..

وفي كل الأحوال فإن الصدق الفني يرغم الإنسان على البكاء ، كما
أرغم الشاعر نفسه على البكاء .. وبقينا فإن العمل الشعري الذي يبكي
هو الشعر !

أقول وأنست بالليل نارا لعل سراج الهدى قد أنارا
وإلا فما بال أفق الدجى كأن سنا البرق فيه استطارا
ونحن من الليل في حندسٍ فما باله قد تجلّى نهارا ؟
إلى أن يقول وكأنه يصرخ .. كأنه يهرع باكياً لكي يرتقي عند قبر
رسول الله ﷺ :

دعاني إليك هوى كامنٌ أثار الشوق ما قد أثارا
فناديت : لبيك داعي الهدى وما كنتُ عنك أطيعُ اضطبارا
ووطنت نفسي بحكم الهوى عليّ وقلتُ رَضِيتُ اختيارا
أخوض الدجى وأروض السرى ولا أطعم النوم إلا غرارا
ولو كنت لا أستطيع السبيل لطرت ولو لم أصادف مطارا !

وغير ابن جبير القادم من المغرب ، والبوصيري الآتي من مصر ،
ومحمد إقبال المرتحل بخياله من الباكستان ، عشرات بل مئات من
الشعراء الذين جعلتهم التجربة يقولون شعراً بكل ما تتضمنه الكلمة من
معنى .. ذلك لأن اللحظة ها هنا هي لحظة شعرية ، وهي كفيلة بأن توغل
بما يقال في عالم الشعر .. تجعله مؤثراً وجميلاً ..

في مقابل هذا يمكن أن يضع المرء يديه على قصائد كثيرة تهبط
بدرجة أو أخرى ، صوب المباشرة .. تحمل قيماً إسلامية .. نعم .. ولكن
ليس بالمستوى الذي تتطلبه تقنية الشعر ومطالبه الفنية . لنستمع -
مثلاً - إلى هذه الأبيات :

بني الإسلام جدّوا في الجهادِ بسمِ الخطِّ والبيضِ الحدادِ
ويبيعوها فريكم اشتراها نفوساً تريحوها في المعادِ
عدوكم بعقركم مقيمٌ ليستولي على ملك البلادِ
إلى آخره ..

وهذا يكفي .. ويمكن ، تجاوزاً للاستطراد ، أن نذكّر القارئ بأن المقاطع الشعرية التي ذكرناها قبل قليل ، يمكن تصنيفها بشكل عام في اثنتين : المجموعة التي ترقى - بحق - إلى مرتبة الشعر ، وتتميز بصدقها الفني ، من مثل (٢٣ ، ٢٥ ، ٢٨ ، ٣٠ ، ٣٩ ، ٤٤ ، ٦٠ ، ٨٢) وتلك التي تنحدر صوب التقريرية والمباشرة من مثل (١٨ ، ٢١ ، ٢٦ ، ٦٥ ، ٦٧ ، ٦٩) .

ثمة ما تجدر الإشارة إليه ، ما دمنّا بصدد الإسلامية : إن ابن جبير يكتب بين الحين والحين أبياتاً يدعو فيها إلى رفض طاعة السلطة ، وتسفيه ولاية الأمور الذين يخرجون عن الجادة .. بل إنه ليرسم بالكلمات أحياناً ، صوراً كاريكاتيرية تدفع جماهير الناس إلى السخرية منهم والصدّ عنهم .. إننا نسمعه يقول مخاطباً المواطن المسلم :

من الله فاسأل كل شيء تريده فما يملك الإنسان نفعاً ولا ضرراً
ولا تتواضع للولاة فإنهم من الكبر في حالٍ تموج بهم سكرًا
وإياك أن ترضى بتقبيل راحة فقد قيل فيها :إنها (السجدة) الصغرى
ثم هو يتوجه بالخطاب إلى (السلطة) نفسها مُحذراً إياها من
فعل الزمن ، مذكراً بالمصير الذي آل إليه واحدٌ من أشد المتسلطين على
رقاب الناس غنى وعتواً :

أيها المستطيل بالبغي أقصر ربما طأطأ الزمان الرؤوسا
وتذكّر قول الإله تعالى: ﴿إِنْ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى﴾

وإنه لاقتباس في محله تماماً .. لا تكلف فيه ، وإنما لنلمح كذلك
استخداماً جيداً للمفردات التي تخدم الهدف الأخير : الاستطالة ،
الإقصار ، الطأطأة والرؤوس .. وهي إذا وضعت قبالة بعضها في سياق
الأضداد وجدناها تغدو هكذا :

الاستطالة الإقصار

تقابلها

الرأس العالي وطأطأة الرؤوس

وهي بالتالي تعكس بصدق رغبة دفينية في نفس الشاعر : أن يرى
ولاة الأمر الخارجين عن الصراط ، المستعلين على جماهير الناس ، تُطأطأ
رؤوسهم وتطأطأ حتى لتكاد أنوفهم ترقُغ في التراب !
وفي مكان ثالث يرسم اللاهثين وراء السلطة وكأنهم أحط شأنًا من
المناصب التي وُضِعوا فيها ، ومن أجل التغطية على هذا الفارق المضحك
المحزن بين الشاغل والمشغول ، يجد أرباب المناصب أنفسهم مضطرين
للكبر .. للاتفافخ ، حتى يتجاوزوا محنة انكماشهم وتضاؤلهم ويصيروا
بحجم الكرسي الذي يجلسون عليه :

من كبرت عن قدره خطة داخله من أجلها الكبيرُ
ومن سمت همته لم يكن لخطة في نفسه قدراً
ويمضى ابن جبير لكي يؤكد حالة إنسانية ، أو لا إنسانية بعبارة
أدق كان قد سبق وأن أشار إليها بصدد المتسلطين من ذوي السلطة
والجاء .. إنهم سُكَّارَى ما داموا هناك ، وإن دوار السلطة لهو بحق مما
يطيش بالألباب ويدور بالرؤوس :

ولاية الإنسان سكر فما دامت له دام له السكرُ !
مغايط الدنيا وأربابها ليس عليها لامرئ صبرُ

ولن يفيقهم من السكر ويغسل الغيظ من قلوب المحزونين إلا ضربة
يعرف العدل الإلهي كيف يسوق التاريخ إليها :

دَعْنهم مع الدَّهر وأحداثه حتى ترى ما يصنع الدهر
إن ابن جبير يردُّ بموقفه الشعري الملتزم هذا على القائلين بأن
الشعراء ، عبر تاريخ الإسلام ، كانوا ملتصقين بالسلطة وأبواقاً لها ..
يزننون لها بالباطل إذ تراه - لأمرٍ ما - حقاً ، ويشوهون الحق إذ تراه -
لأمرٍ ما - باطلاً . إنه بدعوته هذه التي تحمل صدقها الواضح يمنحنا مثلاً
مضاداً ، وما أكثر الأمثلة المضادة لو عرفنا كيف نستنطق التاريخ .

وهذا لن يتناقض بحالٍ مع مدائحه لاثنتين فحسب من سلاطين
عصره الكبار : المنصور الموحي والناصر صلاح الدين ، بل إنه ينسجم
معه لأن هذين بالذات كانا يمثلان قمة الالتزام الإسلامي على مستوى
الجهاد أو السلوك من موقع السلطة ، ولقد كانت مدَّتَا حكمهما بمثابة
السعي الحريص الجاد على تنفيذ قيم الإسلام في واقع الحياة ، ومن خلال
هذه الميزة التي ندرت بين الحكام ، وليس لأي دافع مصلحي آخر ، كان
مديحه لهما ، ولولا ذلك ما نظم بيتاً واحداً ، وهو يقولها بوضوح في
رائيته التي يخاطب بها الناصر صلاح الدين :

وَحُبُّكَ أَنْظَقَنِي بِالْقَرِيضِ وَمَا أَبْتَغِي صِلَةَ الشَّاعِرِ !

إن هذا ينقلنا إلى شهادة ابن جبير الشعرية على العصر ، وما قدَّمه
في هذا المجال يمكن - على قلته - أن يخدم المؤرخ ، كذلك فإن الرجل

يمارس ها هنا وظيفته الأساسية رحالة .. وشاهد عيان على ما يجري في البيئة التي يتحرك فيها ، والعالم الذي يَرحلُ في أطرافه .
وثمة ما يزيد على العشرين مقطوعة شعرية تؤكد هذا التوجه ، أهمها ولا ريب تلك التي تحمل الأرقام التالية (١ ، ١٥ ، ١٧ ، ١٨ ، ٢١ ، ٣٣ ، ٣٨ ، ٤٣ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٥١ ، ٥٣ ، ٥٨ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٧٦ ، ٨١) .

وبقراءة هذه القطع يتبين أنها تكاد تجري في تيارين لا ثالث لهما : أولهما الجهاد ضد خصوم الإسلام من صليبيي المشرق ، وثانيهما إعلان الحرب ضد الحركة الفلسفية وزعمائها وبخاصة ابن رشد . ومثل دعوته لمجابهة البدع امتداداً لهذا الإعلان .
في التيار الأول نلتقي بوحدة من أطول قصائد الديوان (رقم ٣٨) تلك الرائية التي يمدح فيها الناصر صلاح الدين والتي تعتمد بحر المتقارب الذي ذكرنا ولع الشاعر به :

أطلت على أفقك الزاهر سعود من الفلك الدائر
فأبشر فإن رقاب العدا تمدّ إلى سيفك الباتر !

وفي الاتجاه نفسه تمضي القطعة (رقم ١٨) لكي تحرض المسلمين على الجهاد ضد الغزاة الصليبيين وتحذّرهم من عودة القدس إليهم مرة أخرى .

وتكاد تكون سائر القطع الأخرى مخصصة للتيار الثاني الذي يستهدف (الفلسفة) ومثلها الأول في الساحة الأندلسية : (ابن رشد) ، فهو حيناً يصب هجاءه ضد طائفة الفلاسفة عامة ، وابن رشد على وجه الخصوص عاداً إياها أصل الفساد وآفة العباد ، مبالغة في القول بأنها

والدهرية سواء في إنكار النبوات ، ورفض المعاد ، وكون الحياة البشرية أدواراً طبيعية « كالزرع والحصاد ».. إلى آخره . وهو حيناً آخر يتوجه بالخطاب إلى الحكام المعاصرين ، محرضاً إياهم لاستئصال شأفة الانحراف القادم من أبواب الفلسفة ، وحماية عقيدة الأمة مما يمكن أن تقود إليه من تمزق وتحريف .

إننا نجد المقطوعة الأولى التي يمدح فيها ابن جبير المنصور الموحيدي ، دعوة صريحة بهذا الاتجاه :

خليفة الله دم للدين تحرسه من العدى وتقيه شر كل فته
فالله يجعل عدلاً من خلائقه مطهراً دينه في رأس كل منه

والتوجه نفسه نلاحظه في المقطوعتين (٥١ و ٦٠) بل إن ابن جبير يسمّ وجهه صوب المشرق ، ويحرض السلطان الناصر صلاح الدين ليس على استئصال مخاطر الحركة الفلسفية هذه المرة ، وإنما على ملاحقة وتطوير البدع التي أخذت تتفشى في مدينة رسول الله ﷺ نفسها ، في واحدة من أطول قصائده (رقم ٦٧) . وهذا التحريض الذي يمثل امتداداً لسابقه ولا ريب يعكس - كذلك - صورة تاريخية لما كانت تشهده بعض مدن الإسلام يومها .

ولسنا هنا بصدد تبرير موقف ابن جبير من (الفلسفة) أو تفنيده ، لأن هذا سيخرج بنا إلى تفاصيل تاريخية صرفة تتعلق بطبيعة الصراع الذي شهدته الساحة الأندلسية على وجه الخصوص بين أنصار الفلسفة وأهل السنة والجماعة ، ولكننا نودّ أن نشير مجرد إشارة إلى أن المسألة قد تكمن في أساسها بالفعل الخاطيء بالاتجاه المعاكس وينفس القوة !

فالفلسفة ، كما هو واضح ، أداة حيادية .. منهج عقلاني للبحث

عن الحقيقة في هذه الدائرة أو تلك من الدوائر المعرفية .. ولكن
توظيفها قد يجعلها تخدم الحقيقة الدينية ، وقد يقودها إلى أن تقف
نقيضاً لها ..

من ثم فإن مهاجمة الفلسفة ، مطلق فلسفة ، ابتداء ، أمر ليس
مبرراً بحد ذاته ، على الأقل بالنسبة للمسلم الذي يجد في أحاديث
رسوله عليه الصلاة والسلام طلباً ملحاً للبحث عن الحكمة ، ومن أي
وعاء خرجت !

ولكن الذي حدث هو أن كثيراً من فلاسفة المسلمين ، ومن خلال
انبهارهم بالفلسفة اليونانية ، اندفعوا أكثر مما يجب في تقبل سائر
معطياتها حتى ولو كانت تستضيف أجساماً وثنية غريبة أو عروضاً
طبيعية أو دهرية ، وتوجهاتهم قد تصطدم مع مراكز الثقل الغيبية في
عقيدة الإسلام ، بل إن بعضهم أوشك أن يصير (عقلانياً) صرفاً فيما
هو مرادف اليوم (العلمانية) ، الأمر الذي قاد أو كاد يقود المجتمع
الإسلامي إلى ما هو ليس في صلب تكوينه أساساً : ثنائية ما أنزل الله
بها من سلطان بين الوحي والعقل ، بين الفلسفة والدين .. وهو أمر
معروف في سائر المجتمعات البشرية إلا في مجتمع كمجتمع الإسلام
يشهد تأكيداً يومياً للاتحام بين العقل والدين ، بين السماء والأرض ،
وبين الوحي والمنطق ، بل بين سائر الثنائيات على امتدادها ..

يقود الافتتان بالفلسفة إلى الفرقة والفتنة ، وكان رجل كابن جبير
من أشهر سلاح الشعر لمجابهة الخطر . ومن هذا المنطلق كذلك رأينا اثنين
من أكبر العقول في تاريخ الفكر الإسلامي وأكثرها ذكاءً وتألقاً ،
وأغزرها عطاءً وهما الغزالي وابن خلدون ، يقفان الموقف نفسه ، ليس
من الفلسفة بصفاتها التجريدية أو الوظيفية ، ولكن منها وقد تلبست

على أيدي بعض فلاسفة الإسلام ممن ارتضوا الاقتباس عن الفلسفة اليونانية ودونوا إحالة متأنية على الأصول العقدية للدين الذي ينتمون إليه .. تلبّست أردية غريبة لا تنسجم بحالٍ مع نسيج المجتمع الإسلامي ، ولا تتجانس مع نبضه وإيقاعه الذي لا يعرف ثنائية ولا ازدواجاً بين العقل والدين .

يعتمد ابن جبير في بنائه الشعري لغة سهلةً بسيطة ، ومفردات على غاية من الكشف والوضوح ، بحيث أن المرء قد يصطدم أحياناً بما يقود إليه هذا كله مما يوشك أن يكون (مباشرة) تفتقد الكثير من شروط الإبداع الشعري ، وتتجاوز الإمكانات الفنية الخصبة للغة العربية وثروتها البلاغية التي تكاد تتفرد بها بين اللغات .

لكن هذا - إذا أردنا الحق - ليس الصورة كلها ، فهناك في نسيج ابن جبير الشعري تعابير وتراكيب ومقارنات وأخيلة وصور تدل على قدرة فنية متمرسة ، وترتفع بمعطياته الشعرية عن التسطح والفقر البلاغي .

إنه الرجل - على سبيل المثال - الذي يعرف كيف يغني مقطوعاته بالصور الشعرية المؤثرة المُنقّعة التي تمنحنا المعنى المطلوب من خلال الرسم بالكلمات ، بل إن سينيّته المعروفة التي قالها على ظهر البحر وقد لاحت له جبال دانية بعد رحلته الأولى سنة ٥٨١ هـ تكاد تكون من أولها إلى آخرها صورة شعرية بديعة تكثر فيها المجازات والاستعارات لولا أنها تنقطع على حين غفلة قبل أن تصل الذروة الأمر الذي يرجّح ضياع أبياتها الأخيرة .

في ثنائية له تحت (رقم ٦٢) يشبه الناس بـ « ظروف حشوها صبر » « وفوق أفواها شيء من العسل » وأنها « تغر ذائقها حتى إذا انكشفت » « له تبين ما تحتويه من زغل » ، ولا أعتقد أحداً يريد أن يحكي عن إحساسه بالمرارة إزاء الناس الذين يضعون على وجوههم الدميعة أقنعة مستعارة ، وعلى أرواحهم الخبرة ديكورات أنيقة إلا يجد في تشبيه ابن جبير ما يعبر بالتخييل الحسي عن إحساسه هذا .

وها هو ذا يعاني الغربة ويتذكر وطنه البعيد ، يرسم هذه الأبيات :
غريب تذكر أوطانه فهيج بالذكر أشجانه
يحل عرى صبره بالأسى ويعقد بالنجم أجفانه
ويرسل للغرب من دمه غروباً لتسقي سكانه
فها هنا تمرّ التجربة الوجدانية عبر مفردات حسية وأخرى طبيعية ، لكي تعبر عن بعدها الحقيقي .. السهر الذي يعقد الجفون بنجوم السماء ، والشوق الذي يجعل العين تبكي سجاماً كغروب ينحدر صوب الغرب لكي يسقي الأهل والأحباب .

والتشبيه يتضمن قدراً من المبالغة ، ما في هذا شك ، ولكنه يظل يحتفظ بصدقه الفني لأن شوق الغريب يفعل الأفاعيل .
وهو يشبه شوقه إلى الديار المقدسة بالطائر الذي :

قص منه الجناح فهو مهبط كل يوم يرجو الوقوع لديها
وهو يعود لكي يحكي عن الغربة ويحذر منها مشبهاً فراق الإنسان لوطنه بفراق الغصن لأصله .. لجذوره الضاربة في الأرض :
أما ترى الغصن إذا ما فارق الأصل ذوى ؟

وهو إذ يمدح الناصر صلاح الدين يرسم هذه الصورة الحسية التي تجسد الموقف فتضع هذا الفاتح في موقع الاقتدار الكامل قبالة عدو يجد

نفسه مسوقاً للاتحار والبولار :

فأبشر فإن رقاب العدا تمد إلى سيفك الباتر
فكأنه وهو في مكانه لا يبرحه تتقدم إليه حشود الأعداء واضعة
رقابها تحت حد سيفه لكي يحصدها كيف يشاء .. وإنه لإيغال مثير في
النفس البشرية يتخذ من المشهد المحسوس وسيلة للإيضاح .. ونحن
نعرف أن المهزوم أحياناً ، وهو يعاني من اليأس المطلق يذهب مختاراً
لكي يطلب من الغالب أن يقتله .. وهذا المشهد يعيد نفسه حتى في عالم
الحيوان .. الدابة المرتجفة هلعاً من زئير الأسد تهرع إليه لكي ينشب
أظفاره فيها !

إلا أن استعارات ابن جبير ولمساته البلاغية ليست هكذا على مدى
شعره كله ، إنها في أحيان أخرى تتضحّل ، وتباشر ، وتفقد بعدها
الشعري لكن ما تلبث أن تصبح محسنات بديعة وزينة لا روح فيها ،
وأحياناً ، مجرد محاكات لفظية لا غير.

لنقرأ مثلاً هذين البيتين اللذين يخاطب بهما بعض أصحابه في
القاهرة وقد أهدى إليه موزاً :

يا مهدي الموز تبقى وميمه لك فاء
وزايه عن قريب لمن يناويك تاء
ولنقرأ - كذلك - هذا الوصف المتكلف ، الذي تغلب عليه
الصنعة ، للقلم أداة للكتابة :

ولئن تقاصر قدّه فلقده ظلت له الأسل الطوال تقصفُ
طعن كمثل النقط منضاف إلى ضرب كما شكلت بنقط أحرفُ
... إلخ

وفي تفضيله المشرق على المغرب يرسم هذه الصورة المباشرة التي

تنقل عن الطبيعة كما هي ، والتي تكاد تخلو من الحركة والحياة :
انظر لحال الشمس عند طلوعها زهراء تصحب بهجة الإشراق
وانظر لها عند الغروب كثيباً صفراء تعقب ظلمة الآفاق
والأمثلة كثيرة ، ولكننا نختتمها بهذا التشبيه الذي هو من عمل
صانع لا شاعر :

قالوا الحبيب شكا جعلت فداءه رمداً أصاب جفونه كالعندم
فأجبتهم ما زال يفتك لحظه في مهجتي حتى تضرّج بالدم
وقد يشفع لابن جبير في هذا أنه ليس بدعاً من الأمر ، فإنه يمضي
على سنن تقليد فنّي شاهده العصر ، ووجد الكثيرون من شعرائه أنفسهم
ينساقون إلى ممارسته ولو من قبيل قتل الوقت وتزجية الفراغ ، أو المزاح
اللفظي وإثبات القدرة على متابعة هذا التقليد والتفنن فيه !
لكنه يبقى ، رغم كل تبرير ، مؤشراً واضحاً على هبوط الحس
الشعري وتحول هذا الفن المتفرّد إلى أي شيء إلا أن يكون هذا الشيء
شعراً مؤثراً.. وجميلاً .. والحمد لله أولاً وآخراً .

د. عماد الدين خليل

المقدّمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيّد المرسلين وخاتم النبيين ، محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين .. وبعد :

فهذا بحث شرعت فيه قبل حوالي عشرين عاماً^(١) ، وبذلت فيه وسعي لأنير زاوية مظلمة من أدب الرحالة الكبير ابن جبير الأندلسي ، هي الشعر ، ولما أزل أعاوده بالتهذيب والتشذيب والإضافة والحذف ، حتى استوى على ساقه بصورة أخرى جديدة متكاملة بعد أن عدت فيه إلى مخطوطات تليدة ومصادر جديدة ، وبحوث طريفة .

والأمر طبعي في مثل هذا النتاج ، الذي يتصل بصنع ديوان لشاعر فقدت دواوين شعره ، وضاع ديوان رسائله ونثره ، وهو وفاء أدبي لشخصية ذات مكانة مرموقة ، شهدوا بفضلها وأقروا بمكانتها - وعلى الرغم من ذلك - نالها ما نال كثيراً من أدبائنا القدامى ، بضياغ آثارهم وفقدان أشعارهم .

فلعلنا بهذا العمل الذي تقدمه نرد فضلاً سابقاً لابن جبير الشاعر الأديب ، وما أضعه بين يدي القارئ الكريم عمل لم أقف على نظائر له ، لا

(١) انظر: «ابن جبير الأندلسي شاعراً» بحثنا المنشور في مجلة آداب الرافدين ، العدد ٩ ص ٤٦١ - ٥٢٦ ، الموصل : ١٩٧٨م ، وبحثنا المستدرک على شعر ابن جبیر ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، الكويت : المجلد ١٩٨٥/١/٢٩ ، ص ٢٠٩ .

سيما في الجانب الشعري ، وأما الدراسات التي كتبت عن رحلته فهي من الكثرة ، مما تنبئ عنها قائمة المصادر والمراجع التي أفدت منها في بحثي هذا .
اجتمع من شعر ابن جبير في هذا المجموع سبعة وثمانون نصاً^(١) بين قصيدة طويلة ، أو مقطوعة قصيرة ، أو بيت يتيم ، في حوالي خمسمائة بيت ، وهو نزر يسير مما خلفه الشاعر وأشار إليه المؤرخون ، لكنه يعطينا صورة واضحة عن شاعريته ، كما أنه يميظ اللثام عن أحوال عصره بنواحيه المختلفة ، سياسية واجتماعية ، وثقافية .. وهو ينبئ عن شاعرية متميزة وذوق شعري رفيع .

وبغية استكمال الصورة ، عدت لأجمع ما تناثر من نثره بين المصادر والكتب مخطوطها والمطبوع ، فوقفت على نصوص يسيرة « تسعة نصوص » بين حكمة موجزة ، ورسالة أخوية كتبها إلى بعض أصفياه . وقد وقفت عند هذه الأشعار والأقوال النثرية ، زيادة على رحلته المشهورة ، وقفت عندها جميعاً بالدراسة والبحث .. محللاً إياها .. منتهياً إلى أحكام عامة في سماتها الفنية في كل من الشعر والنثر .. لذلك يجيء الكتاب في قسمين رئيسين أولهما : الدراسة وآخرهما : التحقيق .

تناولت في القسم الأول حياته وعصره ، وشخصيته وأخلاقه ، ورحلته ونثره ، وديوانه ووقفت عند موضوعات شعره بالبحث ؛ فدرست أبرز أربعة موضوعات هي المديح والنقد الاجتماعي ونقد الفلاسفة وهجائهم ، ثم الشوق والحنين .

ثم انتقلت إلى دراسة السمات الفنية في شعره ، فوقفت عند ذوقه الأدبي من خلال ما توافر من معلومات ، وأسرت إلى مذهبه في النظم ،

(١) آخر نص يحمل رقم (٨٤) وجاءت نصوص أخرى تحمل أرقام (٦١ ، ٦٠ ، ٧٢) إذ هي مما ألحق على الديوان ..

وميله إلى الارتجال وإعراضه عن مذهب التصنع أحياناً ، وقصده التصنع في مقطعاته الشعرية التي أراد في أكثرها - فضلاً عن المعاني - الإبداع الفني والبراعة اللغوية ، وسلك إلى ذلك سبيل المحسنات البديعية من جناس وطباق ، وأفضى به ذلك إلى لزوم ما لا يلزم ، كذلك مال إلى حسن التعليل والتورية والاقتباس من القرآن الكريم والتضمين من الحديث الشريف والأمثال .

وقد جاءت قصائده - من حيث بناؤها - في ضربين من النظم ، مقطعات شعرية وأخرى مطولات ، ومقطعاته تبلغ حوالي ثلاثة أرباع شعره . وأما في موسيقاه ، فقد استخدم البحور الهادئة الرحبة في قصائد المديح والحكم ووصف مواقف الفراق والوداع ، بينما مال إلى الأوزان القصيرة السريعة كما هو الحال في شعر نقد المجتمع وهجاء الفلاسفة . كما لاحظت الدراسة أن أجود أشعار ابن جبير تمثلت في قصائد الشوق والحنين إلى الوطن ، وأن شعره في مجمله ليس شعر علماء وفقهاء . وأما القسم الآخر الذي هو التحقيق ففيه يجتمع المجموع الشعري لابن جبير محققاً ومرتباً وفق الأسس العلمية التي ذكرتها حين الحديث عن ديوانه كذلك يجتمع ما وصل إلى أيدينا من نثره .

وختمت التحقيق بفهارس خمسة ، أولها للمصادر والمراجع المعتمدة في الدراسة والتحقيق ، والثاني لأشعار الشاعر ، والثالث لنثره ، والرابع للأعلام والمدن . ثم جعلت فهرساً عاماً لما تناوله الكتاب ، ولا سيما الأخ الدكتور ناظم رشيد والقائمين بأعمال الطبع والإخراج في دار الرفاعي . ومن الباحثين الذين استفادوا من أصول هذا الكتاب - قبل نشره - قاسم الصبري الذي كتب لي رسالة فأرسلت إليه أصول الكتاب لأنه كان بصدد إعداد رسالته للماجستير : « ابن جبير .. حياته وأدبه » جامعة اليرموك ، ١٩٩٢م .

ولابد أن أنوه بفضل معالي الشيخ عبدالعزيز أحمد الرفاعي - يرحمه الله - إذ كان شعر ابن جبير ، مما وقع في نفسه ، وهو الأديب الناقد ، فأحب أن يطلع عليه في ديوان ، فكتب لي رسالة عام ١٩٨٩م دون سابق معرفة بيننا ، حتى قدر للديوان أن يصدر في داره .
كما لا يفوتني أن أتوجه بالشكر الجزيل إلى الإخوة الذين كان لهم دور كريم في إخراج هذا الكتاب .
والله أسأل أن يكون عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يتقبله مني .. وعسى أن أكون قد وفقت في هذا العمل ، وحسبي أنني لم أذخر وسعاً فيه ، والحمد لله أولاً وآخراً^(١) .

الدكتور منجد مصطفى بهجت

الأستاذ في جامعة الموصل سابقاً

الأستاذ في الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا

كوالا لمبور (حالياً)

رجب ١٤١٥ هـ - كانون الثاني ١٩٩٥م

(١) لقد وقع بين يدي كتاب بعنوان : « شعر ابن جبير » جمع وتحقيق وتقديم فوزي الخطبا - دار الينابيع للنشر والتوزيع ، عمان : ١٩٩١م . وهو في (٦٣) قطعة موزعة على القوافي ، وفي التحقيق اعتمد على أحد عشر مصدراً فقط . وجاء الكتاب في مائة وعشر صفحات . وأما الديوان الذي بين يديك ففيه (٨٥) نصاً شعرياً وعشرة نصوص نثرية ، واعتمدت فيها على أكثر من ستين مصدراً . وقد عرض لكتاب الخطبا الأستاذ مأمون الصاغرجي مراجعاً في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، المجلد ٦٩ ، سنة ١٩٩٤م .

الدراسة

- حياته وعصره
- شخصيته وأخلاقه
- رحلته ونثره
- ديوانه ومصادر شعره
- موضوعات شعره
- السمات الفنية في شعره

حياته وعصره

هو محمد بن أحمد بن جبير بن محمد بن جبير الكناني ، كنيته أبو الحسين وأبو الحسن ^(١) البلنسي الشاطبي (نزيل شاطبة) الإسكندراني ^(٢) . كان جده عبدالسلام بن جبير قد دخل الأندلس في طالعة بلج بن بشر القشيري في المحرم سنة ثلاث وعشرين ومائة للهجرة ، فنزل أبوه شاطبة ثم استوطن هو جيان فغرناطة ففاس ثم الإسكندرية ، كذلك أقام في سبتة ومالقة في أوقات مختلفة ^(٣) .

والكناني نسبة إلى كنانة ، والمنتسبون إلى كنانة من العلماء والفضلاء كثيرون في الأندلس ^(٤) ، وقد تصحفت النسبة عند ابن الجزري ^(٥) إلى (الكتاني) ، وكذلك عند حاجي خليفة ^(٦) ، فسمى رحلته « رحلة الكتاني » .

ولد ليلة السبت العاشر من ربيع الأول سنة أربعين وخمسمائة

-
- (١) التكملة لوفيات النقلة ٢٨٨/٤ ، التكملة لكتاب الصلة ٥٩٩/٢ الذيل والتكملة ٥٩٥/٢/٥ سير أعلام النبلاء ج ٤٥/٢٢ . وكنيته بأبي الحسن جاءت في المغرب ٣٨٤/٢ ورحلة العبدري (ط الجزائر) ، وفي إيضاح المكنون ٦٢٣/٢ (أبو عبدالله) .
- (٢) زاد المسافر ١١٤ ، النجوم الزاهرة ٢٢١/٦ .
- (٣) الذيل والتكملة ٥٩٥/٢/٥ ، الإحاطة ٢٣٠/٢ .
- (٤) نفح الطيب ٢٩١/١ .
- (٥) غاية النهاية ٦٠/٢ .
- (٦) كشف الظنون ٨٣٦/١ .

ببلنسية^(١)، وقيل: كان مولده بشاطبة سنة تسع وثلاثين وخمسمائة^(٢) وتوفي بالإسكندرية^(٣)، باتفاق المصادر - ليلة الأربعاء التاسع والعشرين من شعبان سنة أربع عشرة وستمائة، ودفن على كوم عمرو بن العاص (رضي الله عنه)^(٤). ويرجع الدكتور شوقي ضيف أن يكون مسجد (سيدي جابر) فيها مسجده، وأن يكون العامة حرقوا اسمه مع الزمن^(٥).

أخذ العلم عن أبيه وعن جلة علماء عصره، منهم: أبو الحسن علي ابن أبي العيش (توفي بعد ٥٦٠ هـ)^(٦) وابن الأصيلي وأبو الحجاج يوسف بن يسعون (توفي في حدود ٥٤٠ هـ)^(٧)، وأبو محمد القاسم بن عساكر (ت ٦٠٠ هـ)^(٨). والتقى في رحلاته بأكثر علماء عصره في مكة وبغداد ودمشق وحران^(٩). وتلمذ عليه خلق كثير في المغرب والأندلس، من أشهرهم: الحافظ أبو محمد المنذري (ت ٦٥٦ هـ)^(١٠) صاحب التكملة لوفيات النقلة، والحافظ أبو الحسين علي القرشي^(١١)، وأحمد بن عبدالمؤمن الشريشي (ت ٦١٩ هـ)^(١٢) صاحب الشروح الكثيرة.

-
- (١) التكملة لوفيات النقلة ٢٨٨ / ٤، نفح الطيب ١٨٢ / ٢.
 - (٢) التكملة لكتاب الصلة ٥٩٩ / ٢، الذيل والتكملة ٦٢١ / ٢ / ٥.
 - (٣) الذيل والتكملة ٦٢١ / ٢ / ٥.
 - (٤) التكملة لوفيات النقلة ٢٨٨ / ٤.
 - (٥) الرحلات ٧١.
 - (٦) معرفة القراء ٤٢٨ / ٢. غاية النهاية ٥٧٥ / ١.
 - (٧) بغية الوعاة ٣٦٢ / ٢.
 - (٨) نفح الطيب ٣٨٣ / ٢، تراجم رجال القرنين السادس والسابع ٤٧.
 - (٩) الذيل والتكملة ٥٩٦ / ٢ / ٥ - ٥٩٧.
 - (١٠) التكملة لوفيات النقلة ٢٨٩ / ٤.
 - (١١) نفح الطيب ٤٨٩ / ٢.
 - (١٢) نفح الطيب ١١٥ / ١ وينظر بقية تلامذته في الذيل والتكملة ٦٠٧ / ٢ / ٥ والإحاطة ٢٣٣.

عاش ابن جبير في ظل الموحدين^(١)، وأتيحت له مجالات التعلم والثقافة في أسرته وشيوخ عصره ، وكانت الدولة الموحدية (٥١٤ - ٦٤٠ هـ) قد بسطت يدها على المغرب والأندلس ، وبلغت أوج عظمتها في القوة الحربية والسياسية والحضارية ، فاستطاعت أن تضع حداً للهجمات الإسبانية ، واشتهرت معركة الأرك (سنة ٥٩١ هـ) التي انتصروا فيها ، وقد بدأ تراجع هذه الدولة إثر معركة العقاب (سنة ٦٠٩ هـ) التي كانت السبب في إدبار دولة الموحدين وسقوطها ، وفي المشرق الإسلامي كانت الحروب الصليبية قائمة ، ولما شاع الخبر المبهج بتحرير صلاح الدين لبيت المقدس (سنة ٥٨٣ هـ) قام ابن جبير برحلته الثانية .

ازدهرت الأندلس في عصر الموحدين في الحياة الثقافية والشعرية ، وبلغت مكاناً عالياً حتى قصدتها سفارات إسبانية النصرانية والدول الأوربية للصدقة وعقد المعاهدات وطلب المعونة^(٢) ، وقد أشار بالثنيا إلى نضج الشعر في عصر ابن جبير ، بل بلغ من كثرة العلماء الذين هنا وأبا يوسف يعقوب المنصور بقصائد من الشعر الفصيح أو الزجل الدارج أن أمر بالآل ينشدوه إلا البيتين الأولين من قصائدهم^(٣) ، ومن شعراء عصره : الرصافي البلنسي (ت ٥٧٢ هـ) ، وأبو بكر محمد بن عبد الملك بن زهر (ت ٥٩٥ هـ) ، كذلك عرف عصره أبا جعفر بن سعيد الذي كان شاعراً

(١) جاءت التسمية من دعوتهم إلى الفهم النقي والتوحيد الخالص وصفاء العقيدة ، وزعيمها الأول أبو عبدالله المهدي محمد بن تومرت (٤٨٥ - ٥٢٤ هـ) ينتسب إلى قبيلة هرغة التي تسكن منطقة السوس جنوب المغرب ، وقد أوصى ابن تومرت بالأمر من بعده لأبي محمد بن عبدالمؤمن الكومي الذي حارب المرابطين وقضى عليهم سنة ٥٤١ هـ ، ورثه في الحكم ثمانية من أسرته وكانت عاصمتهم مراكش .

(٢) التاريخ الأندلسي ٤٩٩ .

(٣) تاريخ الفكر الأندلسي ٢٣ .

ممتازاً لعثمان بن عبدالمؤمن ، وجرى بينه وبين حفصة الركونية ما جرى بين ابن زيدون وولادة ، وابن عربي محيي الدين محمد بن علي (ت ٦٣٨هـ) ، وإبراهيم بن سهل الإسرائيلي (ت ٦٤٩هـ) ، وعلي بن موسى (ت ٦٥٨هـ) . وقد كانت لشاعرنا ابن جبير صلات أدبية بشعراء عصره ، وجرت بينه وبين طائفة من أدباء عصره مخاطبات ظهرت فيها براعته وإجادته ^(١) .

(١) الذيل والتكملة ٦٠٧/٢/٥ .

شخصيته وأخلاقه

شخصيته وأخلاقه

نعتت كتب التراجم (ابن جبير) بنعوت كثيرة تنم عن الصلاح والفضل فقالت : إنه المقرئ والإمام الرئيس^(١) ، والفقيه الزاهد ، المنقطع إلى الله^(٢) ، وقال المراكشي : « كان أديباً بارعاً ، كاتباً بليغاً ، شاعراً مجيداً سنياً فاضلاً ، نزهة الهمة ، سري النفس ، كريم الأخلاق ، أنيق الطريقة في الخط .. ونظمه فائق^(٣) ، عني بالآداب فبلغ منها الغاية ، وتقدم في صناعة القريض وصناعة الكتابة ، ونال بهما دنيا عريضة ثم رفضها وزهد فيها^(٤) . ووصفه ابن الخطيب بأنه من علماء الأندلس بالفقه والحديث والمشاركة في الآداب^(٥) وذكر تلميذه المنذري أنه : كان من أهل العلم والديانة والفضل والصيانة^(٦) . ومما يؤكد على صفاته المتقدمة ، القصة التي رواها صاحب الملتمس وجعلها أغرب ما يُحكى في المروءة وقضاء الحوائج ، والسعي في حقوق الإخوان^(٧) ، وفي هذا المعنى يقول :

يحسب الناس بأنني متعب في الشفاعات وتكليف الورى
والذي يتعبهم من ذاك لي راحة في غيرها لن أفكرا

(١) معرفة القراء ٤٨١/٢ ، شذرات الذهب ٦/٥ .

(٢) رحلة العبدري ٢٦ .

(٣) الذيل والتكملة ٦٠٧/٢/٥ .

(٤) التكملة ٥٩٨/٢ .

(٥) الإحاطة ٢٣١/٢ .

(٦) التكملة لوفيات النقلة ٢٨٩/٤ .

(٧) نفع الطبيب ٢٩٥/٣ كذلك ٤٨٨/٢ .

ويؤذي لو أقضي العمر في خدمة الطلاب حتى في الكرى (١)

كان ابن جبير سلفياً ، محباً للنبي ﷺ وآله وصحابته رضي الله عنهم ولذلك أثنى عليهم في رحلته وأشعاره (٢) وهو رجل مطمئن النفس ، قانع بما يصيبه من الحياة لا يغضب إلا إذا ضاق ذرعه بالأمور كما حصل في رحلته الأولى ، وهو بين يدي الأمناء في الإسكندرية ، فاستأدوهم الزكاة عن كل ما عندهم ، ووقع التفتيش الدقيق واختلطت أسباب الحجاج وضاعت ، فعدّ ابن جبير ذلك موقف ذلّ وخزي عظيم . كذلك حين يصف أهل عيذاب وهم يشحنون الحجاج بالسفن ينبلونهم أصناف العذاب ، فيعدّ حكمهم حكم الطواغيت (٣) .

لم يكن ابن جبير ذاهلاً عن مجتمعه ، زاهداً في إخوانه .. إنما « جرت بينه وبين طائفة كبيرة من أدباء عصره مخاطبات ظهرت فيها براعته » (٤) ، ومن خلال رحلته وما تبقى من شعره نقف على شخصية العالم الفقيه المتصل اتصالاً مباشراً بمجتمعه ، وأما زهده في أخريات أيامه فلا يمثل سلوكاً معيناً كان يعيشه ثم أقلع عنه ، كما لا يمثل إقبالاً على المجون والتهتك وتخلياً عنه فيما بعد .. إنما يمثل زهد الفقيه المتحرج لا زهد العايب اللاهي .. والأمر يبدو لنا من خلال الأخبار التي رويت عنه والأشعار التي قالها ،

(١) ق ٢٤ .

(٢) الرحلة ٥٣ ، ق ٢٦ .

(٣) الرحلة ١٣ ، ٤٧ ، ٤٨ وينظر تاريخ الجغرافية والجغرافيين ٥١٩ . وقد نقل الحميري في الروض المعطار ٤٢٣ . وصف ابن جبير لعيذاب ولأهلها وطبيعة حياتهم ، وقال عنها : « مدينة في أعلى الصحراء المنسوبة إليها في صفة البحر الملح ، ومنها المجاز إلى جدة . وهي محط السفن من جدة ، تقابل من الصعيد الأعلى مدينة قوص وقفت . وعيذاب بفتح العين في معجم البلدان ١٧١/٤ ، بليدة على ضفة بحر القلزم هي مرسى المراكب التي تقدم من عدن إلى الصعيد » .

(٤) الذيل والتكملة ٦٠٧/٢/٥

تذاكر يوماً مع صاحب الملتمس حالة الزاهد أبي عمران المارتلي (*)
(ت ٦٠٤هـ) ، يقول ابن جبير : « صحبته مدة فما رأيت مثله ، وأنشدني
شعرين ^(١) ما نسيتهما ولا أنساها ما استطعت » ، أحد هذين الشعرين :

اسمع أخِي نُصِحتِي والنُصح من محضِ الدِّيانَةِ
لا تُقرِنَ إلى الشُّها دةَ والوَساطَةِ والأمانَةِ
تَسلم من أن تُعزى لَزوَ رٍ أو فضولٍ أو خِيانَةِ

وقال صاحب الملتمس : « أراك لم تعمل بوصيته في الوساطة فقال :
ما ساعدني رقة وجهي على ذلك » ^(٢) .

ومن الذين صحبوه : أبو تمام غالب بن محمد الأنصاري (ت ٦٢٩هـ)
من أهل بلنسية معدود في أدبائها ، صحب ابن جبير وروى بعض شعره ^(٣) ،
وأنشد ملح أشعاره أبا عمرو بن الأشقر بالإسكندرية ، وكتب شعراً بعد
رحلته إلى والي سبته أبي محمد عبدالله البجائي ، وجرت بينه وبين أبي
عمران الزاهد بإشبيلية مراسلات ^(٤) ، فصلاته متينة بمجتمعه ، ومودته دائمة
لإخوته .

ومن الأحداث البارزة في حياته ، حادث شربه ، فقد ذكر المقرئ : أن
ابن جبير كتب في شبيبته عن السيد أبي سعيد عثمان بن عبدالمؤمن ^(*)
صاحب غرناطة فاستدعاه لأن يكتب له كتاباً وهو على شرابه ، فمد يده إليه
بكأس فأظهر الإنقباض وقال : « سيدي ما شربتها قط » ، فقال : « والله

(*) ترجمته في المغرب ١/٤٠٦ ، الفصول البانعة ١٣٥ ، التكملة ٦٨٧ ، وله شعر كثير في شرح
الشريشي على المقامات .

(١) يريد بالشعرين : قطعتين من الشعر .

(٢) نفع الطيب ٢٩٦/٣ وتنظر القطعة الأخرى فيه كذلك .

(٣) المقتضب ١٣٦ .

(٤) نفع الطيب ٤٨٧/٢ .

(*) المقتضب من تحفة القادم ١٣٦ .

لتشرين منها سَبْعاً » . فلما رأى العزيمة شرب سبع أكؤس ، فملاً له السيد الكأس من الدنانير سبع مرات وصبّ ذلك في حجره ، فحمله إلى منزله ، وأضمر أن يجعل كفارة شربه الحج بتلك الدنانير ، ثم رغب إلى السيد وأعلمه أنه حلف بأيمان لا خروج له عنها ، أنه يحج في تلك السنة فأسعفه ، وباع ملكاً تزود به ، وأنفق تلك الدنانير في سبيل البر ^(١) ؛ فمدلول الحادثة - إذا صحت - كبير ، وأثرها في نفسه عميق ، إذ أن شعوره بالذنب دفعه إلى التكفير عن خطيئته ، وقد كان محرّجاً ومضطرباً لإطاعة أمير الموحدين ، فحلف بعده بأيمان غليظة أن يحج ، وباع ملكاً له ، وأما تلك الدنانير التي لا تمثل مالاً طيباً بحكم اقترانها بالخمرة ، فإنه أنفقها لوجه الله .. ولعل نزعة الزهد رسخت عنده بعد هذه الحادثة .. وإن يلتفت الزهاد لهذه الكبوة التي لم يستطع دفعها عن نفسه ، وإنما ظلّ ذكره عطراً لدى معاصريه ، وهذا أبو عبدالله بن الحجاج المعروف بمدغليس صاحب الموشحات يشني عليه بقوله :

لأبي الحسين مكارم لو أنها عُدّت لما فرغت ليوم المحشر
وله عليّ فضائل قد قصّرت عن بعض نعمها عظام الأبحر ^(٢)



(١) نفع الطيب ٢/٣٨٥ - ٣٨٦ .

(٢) نفع الطيب ٢/٤٨٦ .

رحلته ونشره

رحلته ونشوره

اشتهرت رحلة ابن جبیر شهرة كبيرة بين كتب الرحلات ، وهي التي أبرزت فيه الجانب الجغرافي ، وحظيت بعناية الدارسين والباحثين ، فعدّت أجمل وأصدق رحلة في تراث الفكر الأندلسي كله^(١) ، ولم تكن رحلته أول رحلة مدونة في الأندلس ، إذ أن هذا اللون من الرحلات شاع منذ عهد مبكر ، وأبو بكر بن العربي (٤٦٨ - ٥٤٢ هـ) يعد مبتكر هذا اللون في الأندلس^(٢) في حين يعد ابن جبیر أعظم رحالة في القرن السادس للهجرة^(٣) .

رحل ابن جبیر ثلاث رحلات ، حَجَّ في كلِّ منها :

الرحلة الأولى : بدأها من غرناطة في (٨ شوال سنة ٥٧٨ هـ) ، وعاد إليها في (٢٢ المحرم ٥٨١ هـ) ، وهي التي صنف فيها كتابه المشهور^(٤) واستغرقت عامين وثلاثة أشهر ونصفاً .

الرحلة الثانية : بدأها من غرناطة كذلك في (١٠ ربيع الأول ٥٨٥ هـ) وعاد إليها في (١٣ شعبان ٥٨٧ هـ)^(٥) .

الرحلة الثالثة : بدأها من سبتة (سنة ٦٠١ هـ) ، وكان قد بلغ الثالثة والسبعين ، ولم يعد بعدها فأمضى أكثر من عشرة أعوام حتى

(١) تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس ٤١٦ .

(٢) المصدر السابق ٤١ .

(٣) مقال أدب الرحلات في الإسلام في مجلة الثقافة العربية ، العدد ٩ ص ٢٩ .

(٤) الذيل والتكملة ٥٩٦/٢/٥ ، الإحاطة ٢٣١/٢ وانظر الرحلة ص ٧ .

(٥) الذيل والتكملة ٦٠٥/٢/٥ ، الإحاطة ٢٣٢/٢ .

توفي (سنة ٦١٤هـ) ^(١).

تعددت أسباب رحلته كل مرة ، فالأولى تقتزن بحادثة شرب الخمرة ،
والثانية تقتزن بسماعه لأخبار تحرير صلاح الدين الأيوبي لبيت المقدس
(سنة ٥٨٣هـ) ، ويكون ذلك من أقوى الأسباب للحج وزيارة المسجد
الأقصى ^(٢). وأما رحلته الثالثة فكانت إثر وفاة زوجته عاتكة المدعوة بأم
المجد في (١٠ شعبان ٦٠١هـ) ^(٣) ، ورواية ابن القاضي أنها بسبب موت أهله
وولده بفاس فرحل (سنة ٥٦٧ هـ) ^(٤).

والرحلات في القرون الوسطى ، كانت متصلة بدعوة الدين الإسلامي
إلى الجهاد ، وأداء الحج وطلب العلم والتجارة .. وتُقدم لنا رحلة ابن جبير
المطبوعة وصفاً تفصيلياً عن رحلته الأولى ، يشبه أسلوب المذكرات ، وقد
عرف باسمين آخرين ، إذ نجد في أولها عنوان « تذكرة الأخبار عن اتفاقات
الأسفار » وفي آخرها عبارة « انتهت رسالة اعتبار الناسك في ذكر الآثار
الكريمة والمناسك » ^(*) ، وينكر كراتشكوفسكي هذين العنوانين ، ويرى أنهما
منحولان ^(٥) ، ونستبعد أن يكون العنوان الثاني عنواناً للرحلة ، فقد ذكر ابن
عبد الملك المراكشي المؤرخ الثبت ، أنه مقالة كتب بها إلى وليّه أبي الحسن
ابن مقصير من فاس عند عودته إلى المشرق ، في ذي القعدة ثلاث وتسعين
 وخمسمائة ^(٦) ، أي أنه كتبها بعد عودته من رحلته الأولى التي صنف فيها
 كتابه ، بأكثر من عشرة أعوام ، أو لعل الرسالة أضيفت إلى الرحلة فيما

(١) التكملة ٥٩٩/٢ ، وفي تاريخ الفكر الأندلسي ٣١٧ ، ودائرة المعارف الإسلامية ١١٦/١ أن
رحلته الثالثة كانت (سنة ٦١٤ هـ) ، وهو وهم واضح لأن وفاته كانت في تلك السنة .

(٢) الذيل والتكملة ٦٠٥/٢/٥ .

(٣) الذيل والتكملة ٦٠٦/٢/٥ .

(٤) جذوة المقتبس ، وفي التاريخ تحريف لسنة تسعين إلى ستين . والصواب أن تكون الرحلة بعد
سنة ٥٩٧ هـ .

(*) الرحلة ٧ ، ٣٢٠ .

(٥) تاريخ الأدب الجغرافي ٣٠٠ .

(٦) الذيل والتكملة ٦٠٤/٢/٥ .

بعد ، إذا كانت في السياق ذاته ، ولكننا لا نجد ما يوحى في الرحلة بأنها موجهة إلى صديق كابن مقصير ، كذلك لا ينسجم التاريخ المذكور مع التواريخ التي تذكرها المصادر عن رحلاته الثلاث .

اتفقت جميع المصادر على صحة نسبة الرحلة إلى ابن جبير ، باستثناء مقولة نسبت لأبي الحسن الشاري نقلها ابن عبد الملك ، إذ ذكر أنها ليست من تصنيفه ، وإنما قيد معاني ما تضمنته ، فتولى ترتيبها ونضدها بعض الآخذين عنه بناءً على ما تلقاه منه ^(١) .

وغير واضحة دواعي التشكيك في نسبة الرحلة ، ولكن واقع حال ابن جبير وما وصل من أخبار عنه لا يستبعد معهما صحة نسبة الرحلة إليه وإنكار هذه المقولة ، حيث لم تكن الكتابة أمراً طارئاً على ابن جبير ، فضلاً عن عمله في دواوين الموحدين لسنوات طويلة ، ونظمه الشعر في دواوين . إن رحلة ابن جبير على جانب كبير من الأهمية ، بلغت ذروة ما بلغه غط الرحلة في الأدب العربي ^(٢) ، ولقد كان من أصحاب النظر التاريخي الثاقب ، واستطاع أن يضيف إلى سجل الجغرافية والرحلات صفحات من أجل ما فيه ، وتعد الرحلة قياساً إلى كتب الرحلات من أغزرها مادة وأقربها إلى روح العلم وأصدقها ^(٣) . ولقد ذهب إلى تقرير هذه الحقيقة الدكتور حسين مؤنس في دراسة موسعة عن الجغرافية والجغرافيين في الأندلس ، حيث يجده قد بلغ ذروة سامقة في أدب الرحلة ، وأن من جاء بعده لم يوفق في السير في طريقه الذي حدد مستوى رفيعاً في الأدب العالمي كله ، لا بالنسبة للأدب العربي فحسب (في حدود عصره طبعاً) ^(٤) .

(١) نفسه ٥٩٨/٢/٥ .

(٢) تاريخ الأدب الجغرافي ٣٠١ .

(٣) تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس ٤٥٢ .

(٤) تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس ٥١٩ .

ولقد شهد القدماء - من قبل - بمقام الرحلة ومنزلتها فوجدوا أنها نسيجة وحدها طارت كل مطار^(١) .

ولا جرم أن يعجب عسريو ابن جبير والذين جاؤوا من بعدهم بأسلوب الرحلة ، ويفيدوا من المعلومات التي أوردها ، فالشريشي شارح مقامات الحريري (ت ٦١٩هـ) يكثر الاقتباس منها ، والعبدي (من علماء القرن السابع) يعتمد عليها في رحلته الموسومة « الرحلة المغربية »^(٢) . والفاسي وخالد بن عيسى البلوي (ت ٧٣٦ هـ) ، وابن الخطيب (ت ٧٧٦ هـ) ، وابن بطوطة (ت ٧٧٩ هـ) ، والمقرئزي (ت ٨٤٥ هـ) ، وعبدالله بن محمد البديري الدمشقي (ت ٩٠٩ هـ) ، والمقرئ (ت ١٠٤١ هـ) .. كلهم يفيد من الرحلة^(٣) .

وقد وجد الدكتور عبدالرحمن حميدة « أن أسلوب ابن جبير لا مثيل له ، فهو يوجز عند وصف المدن والأوابد ، ويجيد في اللوحات العامة عن الأقاليم ، ولكنه على العكس يكثر من الألوان عندما يصف الجماهير المتحركة ، حيث يظهر « رحالتنا بارعاً في تقديم التفاصيل المميزة والرائعة »^(٤) . ويرى باحث آخر أن رحلته ذات نفحة أدبية^(٥) .

ونستطيع أن نحدد أبرز السمات المميزة لأسلوب ابن جبير في رحلته ، فهي تتمثل في السهولة واليسر والسلاسة ، وتزخر بالعاطفة العنيفة في المواقف التي تستفز مشاعره في غضب أو إعجاب .. كما يزين عبارته استخدام المحسنات البديعية كالسجع والجناس والطباق ، ولكن دون سرف أو مبالغة تخرجه إلى حد التكلف ، وأسلوبه - وبهذه السمات - يعد

(١) الإحاطة ٢٣١/٢ .

(٢) تنظر الرحلة المغربية « ٧٩ ، ١٤٩ ، ١٦٧ ، ١٧٦ ، ١٨٥ ، ١٨٦ » .

(٣) ينظر تاريخ الأدب الجغرافي ٣٠٠/١ ، ٥٠٦/٢ ، جهود المسلمين في الجغرافية ٧٩ .

(٤) أعلام الجغرافيين العرب ٣٢٥ .

(٥) أدب الرحلات ١٠٩ .

منفرداً إذا قيس بالأساليب التي شاعت لأعلام الكتابة في عصره ، ثم إن طابع الأدب الذي اتسمت به رحلته جعلها متميزة على سائر كتب الرحلات التي ألفت قبله ، يحسن انتقاء ألفاظه ، ويكثر الاقتباس والتضمين من القرآن الكريم والأمثال والأسفار^(١) ، وهو يفتتح كلامه بفقرة مجودة مجملته تتزين بالسجع والجناس ، وهو يرسل عبارته إرسالاً^(٢) .

والتنوع في أسلوب ابن جبير واضح ، فهو لا يسير على وتيرة واحدة فبينما تراه يعتني بمقدماته حتى يخرج بقطع أدبية فريدة ، تجده يكتب بتسجيل الملاحظات العابرة في مواضع أخرى ، وقد لاحظ الدكتور سامي الدهان جمال أسلوب ابن جبير ودقة تعبيره خلال الرحلة^(٣) .

ومن الدارسين المحدثين ، يرى الدكتور حسين نصار : « ارتباك أسلوب الرحلة لأن مؤلفها كان يدون مشاهداته على صورة كتاب متصل مطرد ، ثم نسق هذا الكتاب وفقاً لمراحل الرحلة ، هو أو بعض تلاميذه ، فأثر ذلك في عبارة الكتاب وأسلوبه تأثيراً كبيراً ، فهي عبارة عامية ، تتضمن كثيراً من الألفاظ التي لا ترضى عنها اللغة الفصيحة ، والضمائر مختلفة لا تسير وفقاً للقواعد العربية الفصيحة ، وإنما على القواعد العامية ، ويلاحظ كذلك أن العبارات منفصلة ، لا ترابط بينها في كثير من الأحيان ، حتى اضطر المحقق الأول للكتاب ، واضطرت بعده إلى زيادة كثير من أدوات العطف لترتبط الجمل وتتضح معانيها »^(٤) .

والارتباك الذي يشير إليه المحقق صحيح ، إلا أنه لم يؤثر إلا في عرض الأفكار فمن ذلك ، أنه وهو يسبق حديثه ، فيذكر ما ينال الحاج

(١) تنظر رحلة ابن جبير « ٧٢ . ٧٨ . ١٧٨ . ١٩٢ ، ١٩٩ . ٢٨٨ . ٣٠٧ » .

(٢) مقالة رحلة ابن جبير د. حسين نصار ، مجلة تراث الإنسانية ١/ ٢٣٨ .

(٣) قداماء ومعاصرون ١٢٤ .

(٤) مقدمة الرحلة هـ .

بعيذاب وجدة من أذى بسبب المكس ، وهو ما سيتحدث عنه فيما بعد ^(١) ، كذلك نجاهه بعد توجهه من الإسكندرية « .. عاينا مجتمعاً من الناس عظيمًا .. » ، وهكذا يسترسل في ذكر ما عاينه في الإسكندرية ، ولما ينتهي من قص الخبر يعود ليقول : « رجع الذكر » ويستمر في وصفه للرحلة إلى قوص ^(٢) .

وأما عبارة الكتاب فقد جاءت مستقيمة لا خلل فيها - بشكل عام - باستثناء استعماله بعض المفردات العامية ذات الأصل المحلي أو المغربي أو الإسباني ، وهي مما يفهم من سياق الحديث ، وهي بمجموعها لا تشكل ظاهرة تؤثر في أسلوب الكاتب ، ونظن أن لتحريفات الناسخ أثراً في إسقاط أدوات العطف ، إذ لا يعقل أن يرتفع أسلوبه في بعض المواضع إلى درجة رفيعة ويهبط في مواضع أخرى إلى درجة الخلط في الضمائر وتفكك الأسلوب .

ومن النماذج الأدبية الرائعة : حديثه عن بيت الله الحرام ، ووصفه مجلس ابن الجوزي ، ونعته لمدينة دمشق ^(٣) ، وحديثه عن أهوال البحر ، حيث يقول ابن جبير يصف الرياح العاصفة الغربية : « وأصبحنا يوم الأحد المذكور والهول يزيد ، والبحر قد هاج هائج ، وماج مائج ، فرمى بموج كالجبال ^(*) ، يصدم المركب صدمات ، ينقلب لها على عظمه تقلب الغصن الرطيب ، وكان كالسور علواً فيرتفع له الموج ارتفاعاً يرمي في وسطه بشآبيب كالوابل المنسكب ، فلما جن الليل اشتدّ تلاطمه ، وصكّت الآذان غماغمه ، واستشرى عصف الرياح فحطت الشرع ، واقتصر على الدلائن الصغار دون أنصاف الصواري ، ووقع اليأس من الدنيا ، وودعنا الحياة

(١) تنظر الرحلة ٣٠ ، ٥٤ .

(٢) نفسه ٣٤ ، ٣٥ .

(٣) نفسه ٥٨ ، ١٩٦ ، ٢٣٤ .

(*) اقتباس من قوله تعالى : ﴿ وهي تجري بهم في موج كالجبال ﴾ . هود ٤٢ .

بسلام ، وجاءنا الموج من كل مكان ، وظننا أنا قد أحيط بنا (*) فبنا لها ليلة تشيبُ لها سود الذوائب ، مذكورةً في ليالي الشوائب ، مقدمة في تعداد الحوادث والنوائب ، ونحن منها في مثل ليل (صول) (***) طولاً ، فأصبحنا ولم نكد ، فكان من الاتفاقات الموحشة أن أبصرنا برّ أقربطش عن يسارنا ، وجباله قامت أمامنا ، وكنا قد خلفناه عن يميننا ، فأسقطت الريح عن مجرانا ، ونحن نظن أنا قد جزناه فسقط في أيدينا ، وخالفنا المجرى المعهود الميمون ، وهو أن يكون البر المذكور منا يميناً في استقبال صقلية ، فاستسلمنا للقدر .

سيكون الذي قضي سخط العبد أو رضي^(١)

إن ريشة ابن جبير تصور لنا لوحة تملأ القلب هلعاً والأوصال فزعاً ، حتى يخال القارئ نفسه في وسط البحر لا يكاد يلتقط أنفاسه ... ويوشك أن يشخص لنا صورة كتلك التي نشاهدها على رقوق الصور الضوئية (السينما) ، ولا سيما حين يستعمل الألفاظ المعبرة عن صوت اضطراب البحر ، مثل قوله : « اشتد تلاطمه ، وصكت الآذان غماغمه » .

وحين يبلغ به اليأس مداه وهجيراه يقول : « ووقع اليأس من الدنيا ، وودعنا الحياة بسلام ، وجاءنا الموج من كل مكان »^(٢) .
وللشيخ أبي الحسن على الندوي رأي قيم في نثر ابن جبير وأمثاله من الأدباء غير المتفرغين للأدب ، إذ يرى أن أدبهم هو الأدب الحي الخليق

(*) اقتباس من قوله تعالى : ﴿ وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم ﴾ .

(**) إشارة إلى قول الشاعر خندج المري في صول (هامش الرحلة ٢٨٩) :

في ليل صولٍ تنأى العُرض والطول كأنما صُبَّه في الليل مَرصُولُ

(١) الرحلة ٢٨٩ .

(٢) المصدر السابق ٢٨٩ ، ويُنظر ما جاء في وصف مجالس ابن الجوزي ببغداد ، ملحق ما وصل إلينا من نثره رقم (١) .

بالبقاء .. فيأتي وكأنه قطعة من نفس صاحبه ، وصورة لروحه حقيقة على النفس ، مشرقة الديباجة ، لطيفة السبك ، بارعة في التصوير .

وهذه القطع أصدق تمثيلاً للغة العربية وأدبها الرفيع ، ومحاسنه من كثير من الكتب المختصة بالأدب ، ومن كثير من المجاميع والرسائل والمقامات والمقالات الأدبية التي تعد أساس الأدب وزهو العربية ، ومحصول العقول .

وأما الأدب التقليدي فهو ليس الأدب كله ، ولا يمثل أدبنا العالي الذي هو أجمل أداب العالم وأوسعها ^(١) .

وأما اللون الثاني من نثره ، فقد نوه به ابن عبد الملك المراكشي فقال : « وله ترسيلٌ بديع وحكم مستجادة » ^(٢) . ويبدو أنه كان ذائعاً متداولاً في عصره ، حيث يذكر أنه مدون كله ، وأنه منقول ^(٣) .

وقد وصل إلينا من ترسيله الذي يصدر فيه عن رجل يحاول تسديد خطي مجتمعه المتعثرة ، وإصلاح مظاهر الفساد وسدّ الخلل ورأب الصدع مما فشا في عصره ، وتوجيههم إلى صورة من الألفة والصفاء - خمسة نصوص تنهج أسلوب الوعظ والنصح ، والتزهيد في الدنيا والتذكير بالآخرة .

فهو يرى أن شرف الإنسان كامن في فضله وإحسانه وأن تفوقه مقرون بتفضله وإنفاقه ^(٤) وهو يحذر من آفات اللسان في أكثر من مقولة ، إذ أنه يورد موارد التهلكة ويؤدي الزلل فيه إلى أن يودي بصاحبه ^(٥) . وكلامه في جملته مقرر على السنة كثير من الأدباء والحكماء ، إلا أن سمة العناية

(١) مختارات من أدب العرب ، ١٦/١ - ١٧ . وقد صدرت الطبعة الأولى من الكتاب سنة ١٩٤٠ م .

(٢) الذيل والتكملة ٦٠٨/٢/٥ .

(٣) نفسه ٦٠٨/٢/٥ .

(٤) ملحق نثره رقم ٦ .

(٥) نفسه رقم ٧٠٨ .

بالتزويق اللفظي واضحة في مقولاته .. فهو يستخدم السجع والجناس بشكل واضح ، لا يبلغ حد التكلف ، بل يدرك فيه أساليب البلغاء ، لتدرك كلماته النفوس ، وتصيب منها مأرباً لا سيما وهو في موضع نصيح وإرشاد ، فمن جناسه ما جاء بين كلمتي (الأعراض) و(الإعراض) ، وبين الكلمات (ما بالهم) و(بالهم) و(آمالهم) و(أعمالهم) و(مالهم) وكلمتي (هابة) ، و(البصائر) و(صائر)^(١) . وكذلك بين الكلمات (أداء) و(اعتداء) و(ابتداء) و(داء) وكلمتي (جناء) و(ما جناء)^(٢) .

هذا فيما يتصل بحكمه المستجادة ، وأما رسائله الديوانية التي كتبها في شببته حين استخدم عند أبي سعيد عثمان بن عبدالمؤمن صاحب غرناطة ، فلم يصل منها أي شيء فيما لدينا من مصادر شأن الكثير من شعره المفقود ، وجل ما وصل ثلاث رسائل أخوية ، احتفظ بها عصره ابن الشعار الموصلي (ت ٦٥٤ هـ) في عقوده ، يوجهها إلى الشام ويخاطب بها صاحب شيخ الشيوخ ابن حمويه .

والرسائل تأتي خالية من التاريخ .. وهي توحى لنا بأن ابن حمويه كان كبير السن ، لأنه يدعو له فيها بطول العمر ، ويبدو فيها ابن جبير معجباً كل الإعجاب بشيخ الشيوخ ، وكان أحد مريديه ، إذ يظهر ولائه له واستمساكه به .

والثانية في الشفاعة لرجل من فقراء أهل بلده .

والثالثة كتب بها من الاسكندرية ، متشوقاً للقياء وزيارته ، بعد أن طال العهد بينهما .

وأولى الرسائل أقصرها في الحجم ويبدو أنها جزء من رسالة طويلة ، إذ لا تدل الأسطر التي وصلت منها على الحب والمودة اللذين كان ابن جبير

(١) ملحق نشره رقم ٥ .

(٢) ملحق نشره رقم ٦ .

يكنهما لصاحبه ابن حمويه .. وقد دخل فيها التحريف .

أما الرسالة الثانية فقد كتبها في الشفاعة لرجل من فقراء أهل بلده توجه بها إليه ، لكي يأخذ بيده ، بما كان يملكه في قومه من جاه ومكانة ، وهو يوجهها في شهر من الأشهر المباركة ، وهو يؤمل له أن ينزل الرباط مع الصوفية .. أو أن ييسر له سبيلاً يرتزق به كما يُشير تمهيد ابن الشعار للرسالة .

وثالثة الرسائل في موضوع الرسالة الثانية ذاته ، وهي أطول الرسائل الثلاث ، وتختلف عن الثانية في لواعج الشوق التي يُحَمِّلُها رسالته ، حيث يظهر شعره ولهه بشيخه ابن حمويه ، بعد أن طال عهده بفراقه وحالت الأيام دون لقيائه ، وهو يشفع لسيد من أهله وذويه ، يبدو أنه سلك مسلك ابن حمويه في التصوف ، لينقطع إلى رباطه .

ومنهجه في رسائله الثلاث يخالف أسلوبه في الوعظ والإرشاد ، ويتابع منهج المترسلين من الكتاب .. إذ لا يتكلف فيها المحسنات البديعية بل يأتي السجع فيها والجناس والطباق قليلاً وبشكل مقبول ... يوافق مذهب الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) ، ويخالف منهج المتأخرين المتكلفين أمثال ابن العميد (ت ٣٦٠هـ) ، وأبي إسحاق الصابي (ت ٣٨٤هـ) والقاضي الفاضل (ت ٥٩٦هـ) .

ويلاحظ انتقاله وتنويعه بين النثر والشعر واضحاً في رسالته الثالثة ، كما يلاحظ اقتباسه من القرآن الكريم في رسالته الثانية .

دیوانه و مصادر شعره

ديوانه و مصادر شعره

كانت وقفنا آنفاً عند نشر الرحالة ابن جبير ، وها نحن نتوقف عند شعره ، فقد كان من ذوي المواهب المزدوجة ، وإن غلب على شهرته رحلته ، فعرف كاتباً أكثر منه شاعراً ، فأهملت الدراسات الحديثة هذا الجانب ، أو تعجلت الوقوف عنده ، وجاءت أحكامهم عامة .. لجملة أمور في مقدمتها فقدان ديوانه .. ولما كانت شاعريته لا تقل شأنًا عن ملكته النثرية ، وللإهمال الذي أدركها ، سنتوقف وقفة متأنية في الحديث عن ديوانه وشاعريته استكمالاً لجوانب شخصيته الأدبية .

عانى شاعرنا النظم في عهد مبكر ، وكان من الغزارة مما دفع أحداً قرانه وأصدقائه إلى جمعه ، فقد ترجم ابن عبد الملك المراكشي لمحمد بن أبي بكر بن محمد بن عقيلون الغافقي المولود سنة (٥١٨ هـ) والمتوفى سنة (٥٨٤ هـ) ، وذكر عنه أنه « جمع شعر ابن جبير في صباه »^(١) ، وينسب ابن الأبار إلى أبي تمام غالب بن محمد بن إسماعيل الأنصاري الذي صحب ابن جبير (ت ٦٢٩ هـ) أنه روى بعض شعره ، وقد حدث به بلفظه بين سماع ومناولة^(٢) .

وشهد له علماء عصره ونقاده بالشاعرية ، فقال عنه ابن الشعار

(١) الذيل والتكملة ١٤٠/٦ .

(٢) المقتضب ١٣٦ ، التكملة ٥٩٩/٢ .

الموصللي (ت ٦٥٤هـ): « كان شاعراً مجيداً ، عالماً بليغاً ، ذا أدب كثير ، وفضل شهير ، له فضائل مسمطة ، وشعر فصيح ، وموشحات بارعة » (١).

وذكر ابن الأبار البلسني (ت ٦٥٩ هـ) عن شعره : أنه كثير مدون (٢) ويبدو أن شعره بقي متداولاً بعد وفاته ، فقد روى ابن عبد الملك المراكشي (ت ٧٠٣ هـ) أنه وقف من شعر ابن جبير على مجلد متوسط يكون بقدر ديوان أبي تمام حبيب بن أوس ، جمع أبي بكر الصولي أو نحو ذلك ، ومنه جزء سماه « نتيجة وجد الجوانح في تأبين القرن الصالح » ، أودعه قطعاً وقصائد في مراثي زوجه أم المجد بعد وفاتها والتوجه لها أيام حياتها (*) ، تزيد بيوته على ثلاثمائة ، سوى موشحات خمس جعلها قريباً من آخره ، ومنه جزء سماه « نظم الجمان في التشكي من إخوان الزمان » يشتمل على أزيد من مئتي بيت في قطع (٣) .

وما بين أيدينا من أشعاره يناهز الخمسمائة بيت توزعت أبياته على ثمانية عشر مصدراً ، بين مصادر أندلسية مشرقية ، وأندلسية ، فأقدم من أورد أشعاره عصره ، صفوان التجيبي الذي اعتبط شاباً سنة (٥٩٧ هـ) حيث ساق لنا مزامنه ابن الشعار الموصللي (ت ٦٥٤ هـ) فقد فاق تربيته ، صفوان والبلوي ، حيث روى لنا أحد عشر نصاً ، وانفرد برواية تسعة منها . وأما الرحالة العبدري (ت بعد ٦٨٨ هـ) فقد احتفظ من أشعاره بتسعة نصوص انفرد برواية ثلاثة منها ، وتأتي ثاني أكبر مجموعة من أشعاره في أواخر القرن السابع الهجري لدى المؤرخ الثقة ابن عبد الملك

(١) عقود الجمان ج ٦ ورقة ٦٣ .

(٢) التكملة ٥٩٩/٢ .

(*) توفيت أم المجد سنة ٦٠٩ هـ بعد مدة طويلة عن خمسة وخمسين عاماً .

(٣) الذيل والتكملة ٦٠٨/٢/٥ ، وينظر الإحاطة ٢٣٤/٢ ، إيضاح المكنون ٦٢٣/٢ .

المراكشي (ت ٧٠٣هـ) في موسوعته القيمة « الذيل والتكملة »، حيث ساق لنا ثلاثين نصاً، منفرداً برواية ثمانية عشر نصاً منها .

وتغفل مصادر القرن الثامن الهجري أشعار ابن جبير ، باستثناء القطع التسع التي احتفظ بها ابن الخطيب في « الإحاطة » و« السحر والشعر »، والست عند ابن ليون (٧٥٠هـ) ، إذ لا تقف إلا على نص واحد عند كل من الغبريني (ت ٧١٤هـ) ، والوطواط (ت ٧١٨هـ)، والذهبي (ت ٧٤٨هـ) (١١) .

وفي النصف الأول من القرن الحادي عشر الهجري تصل أكبر مجموعة من أشعار الشاعر ، فقد ساق ابن القاضي (ت ١٠٢٥هـ) ستة نصوص من أشعاره ، وأورد ابن بابا التنبكتي (ت ١٠٣٦هـ) نصاً واحداً ، أما أبو العباس المقري صاحب الموسوعة الفذة « نفح الطيب » فقد احتفظ بأضخم مجموعة شعرية للشاعر جاءت في تسعة وثلاثين نصاً ، منفرداً برواية اثنين وعشرين نصاً، ومن هنا نستطيع أن نقدر بأن ديوان ابن جبير وأشعاره بقيا متداولين بأيدي الناس حتى القرن الحادي عشر ، بدليل أن المقري أورد لنا أشعاراً نرجح أنه نقلها من الديوان أو من مصادر لم تصل أيدينا إليها إلى يومنا هذا ، ويتضح ما ذكرناه عن مصادر شعر ابن جبير في الجدول رقم {٢} ، كما تتضح كمية أشعار الشاعر حسب عدد النصوص في الجدول رقم {١} .

وهذا الذي بين أيدينا لا يمثل إلا اليسير من شعره الذي وصفه المراكشي آنفاً وأكثر ما وصل من أشعاره من جزئه المسمى « نظم الجمان في التشكي من إخوان الزمان » ، ويبدو أنه كان أكثر حظاً ودورناً على السنة

(١١) وذلك في كتبهم ، عنوان الدراية و غرر الخصائص ، وسير أعلام النبلاء ، ولح السحر، ونيل الابتهاج .

الناس ، حتى تناقلته المصادر .

وأما جزؤه المسمى (نتيجة وجد الجوانح) فقد وصل منه بيتان فقط ^(١) ، وموشحاته الخمس مفقودة لم نقع عليها . وأما مدائحه في بني عبدالمؤمن فقد وقفنا منها على ثلاث قطع في سبعة عشر بيتاً ، بينما يذكر ابن عبدالمملك المراكشي أن له فيهم مدائح كثيرة ^(٢) ، فهو بعد أن يورد شيئاً من شعره في المنصور الموحيدي يقول : « وله فيه غير ذلك مما يطول إيراد » ^(٣) ، ويقول في موضع آخر : « وأغراضه كثيرة في أشعاره ، مستحسنة ، ولولا خوف الإملال والخروج بها إلى غير ما له قصدنا لاستكثرنا منها إثارة لكرم آثاره ، واستطابة لإيراد أخباره وأشعاره ، وفي بعض ما أوردنا منها دلالة على انطباعه وشهادة بكرم طباعه ^(٤) . فإذا علمنا أن ابن عبدالمملك أكثر من إيراد شعر ابن جبير ، كان لقوله دلالة الواضحة على فقدان شعره ...

وينفرد المقرئ برواية قصيدته الميمية ، وبعد أن يستهلها ببيتين يقول : « وهي طويلة ، وآخرها ... » ثم يورد أبياتاً ^(٥) .. ومن هنا يتأكد لدينا بأن ما بين أيدينا لا يمثل إلا جزءاً من شعر ابن جبير ، ولو وصل ديوانه الموصوف بأنه على قدر ديوان أبي تمام (جمع الصولي) لتحصل لدينا شيء كثير ، ويمكن ملاحظة الجدول رقم { ٢ } الذي يوضح ذلك ^(٦) .

(١) ق ٧ .

(٢) الذيل والتكملة ٦٠٧/٢/٥ .

(٣) نفسه ٣١/٦ .

(٤) نفسه ٦٢٠/٢/٥ - ٦٢١ .

(٥) نفع الطيب ٤٩٣/٢ .

(٦) وقفت على أشعار أخرى ، بينما كان الكتاب مائلاً للطبع وذلك في « الحلل السندسية » و « المختارات » ، و « لمح السحر » حيث تجدها في الجدولين .

وبعد أن بحثت عن مظان ديوان ابن جبير في فهارس كتب المخطوطات ولم أعثر عليه تتبععت أشعاره وتقرّيتها فيما تيسر من مصادر أندلسية ومشرقية مخطوطة ومطبوعة ، وعزّمت على إخراجها جاريّاً في ذلك على مذهب صنّاع الدواوين في عصرنا ، ولم أجد بأساً من تسميته بالديوان ما دام أكبر مجموع شعري له .

وقد التزمت المنهج العلمي المعهود في صناعة الدواوين فرتبت القصائد وفق حروف الروي ، بدءاً بالقافية المقيدة ، فالفتوحة ، فالمضمومة ، ثم المكسورة ، وأخذت بأقدم الروايات أصلاً ، وأشارت إلى الروايات الأخرى في الهامش ، إلا إذا كانت الرواية مرجوحة أو مصحّفة أو محرفة حيث نثبت صوابها ، ونشير إلى ذلك . وأردفت كل نص بالمصادر التي ورد فيها ، وترجمت للأعلام الذين جاء ذكرهم في أشعاره ، كما غزوت الآيات وخرّجت الأحاديث المقتبسة حيثما جاءت ، وأشارت إلى مناسبة النص الشعري ما اهتديت له .

الجدول رقم (١)

مصادر شعره حسب كميتها

م	المصدر	عدد النصوص	ما انفرد به	ما تكرر
١	نفع الطيب	٣٩	٣٠	١٩
٢	الذيل والتكملة	٣٠	١٨	١٢
٣	عقود الجمان	١١	٩	٢
٤	الرحلة المغربية	٩	٣	٨
٥	زاد المسافر	٦	٣	٣
٦	الإحاطة	٦	-	٦
٧	جذوة الاقتباس	٦	١	٥
٨	الحلل السندسية	٦	-	٦
٩	رحلة ابن جبير	٣	١	٢
١٠	المغرب	٣	-	٣
١١	السحر والشعر	٣	٣	١
١٢	الف باء	١	-	١
١٣	الروضتين	١	-	١
١٤	عنوان الدراية	١	-	١
١٥	غرر الخصائص	١	-	١
١٦	سير أعلام النبلاء	١	-	١
١٧	لمح السحر	٦	٣	٤
١٨	نيل الابتهاج	١	-	١
١٩	أنوار الربيع	١	-	١
٢٠	مختارات من الشعر المغربي.	١	١	-
٢١	قصة يوسف	١	-	١
٢٢	إفادة النصيح	١	-	١
٢٣	مطالع البدر	١	-	١

الجدول رقم (٢)

مصادر شعره حسب قدم روايتها

م	المصدر	المؤلف	وفاته	عدد النصوص
١	الرحلة	ابن جبـير	٥٨١ هـ (١)	٣
٢	زاد المسافرين	صفوان التجيبي	٥٩٧ هـ	٦
٣	ألف بـاء	البـلـوي	٦٠٤ هـ	١
٤	عقود الجمان	ابن الشعار الموصلـي	٦٥٤ هـ	١١
٥	الذيل على الروضتين	أبو شامة المقدسي	٦٦٥ هـ	١
٦	المـقـرب	علي بن سعيد	٦٨٥ هـ	٣
٧	الرحلة المغربية	العـبـدري	بعد ٦٨٨ هـ	٩
٨	الذيل والتكملة	ابن عبد الملك المراكشي	٧٠٣ هـ	٣٠
٩	عنون الدراية	الفـبرينـي	٧١٤ هـ	١
١٠	غور الخصائص	الوطـواط	٧١٨ هـ	١

(١) آثرنا إثبات تاريخ عودته من الرحلة بدلاً من وفاته سنة ٦١٤ هـ ، لأنها أدق في الدلالة على تاريخ شعره .

تتمة الجدول رقم (٢)

مصادر شعره حسب قدم روايتها

م	المصدر	المؤلف	وفاته	عدد النصوص
١١	سير أعلام النبلاء	الذهبي	٧٤٨هـ	١
١٢	لمح السحر	ابن ليون التجيبي	٧٥٠هـ	٦
١٣	الإحاطة	ابن الخطيب	٧٧٦هـ	٦
١٤	السحر والشعر	ابن الخطيب	٧٧٦هـ	٣
١٥	جذوة الاقتباس	ابن القاضي	١٠٢٥هـ	٦
١٦	نيل الابتهاج	أحمد بابا التنبكتي	١٠٣٦هـ	١
١٧	نفع الطيب	المقري	١٠٤١هـ	٣٧
١٨	أنوار الربيع	ابن معصوم المدني	١١٢٠هـ	١
١٩	مختارات من الشعر المغربي	مجهول المؤلف	-	١
٢٠	الحلل السندسية	الوزير السراج	١١٤٩هـ	٧

موضوعات شعره

موضوعات شعره

شعر ابن جبير صورة لحياته في أكثر من وجه ، فطابع التدين والالتزام بالخلق الإسلامي الذي لازم حياته واضح كل الوضوح في شعره ، وهو يمثل الاتجاه الأول الذي يتناول شعره ، وأما الاتجاه الآخر فشعره المتصل برحلاته وأسفاره ... يعرض ابن جبير موضوعاته بطريقتين اثنتين : المقطعات الشعرية والقصائد الطويلة ، وأهم موضوعاته ضمن هذين الاتجاهين هي :

١ - المديح :

قصيدة المديح عند ابن جبير ليست تقليدية ، فهو لا يسبغ الفضائل جميعها على ممدوحه : الكرم ، والشجاعة ، والصدق ، والغيرة ، كذلك يسمو مديحه على المدح التكسبي الذي شاع عند شعراء المديح .. فمن خلال الأمثلة التي بين أيدينا تقتزن قصيدة المديح عنده بسلوك الممدوح النابع عن موقف متصل بواقع المسلمين ، فهو يوجه مديحه للشخصيات السياسية والدينية التي أعجب بها ، وقصائده الست في المدح غير مقترنة بمال أو عطاء ، يصرح بذلك فيقول :

وحبك أنطقني بالقريض وما أبتغي صلة الشاعر^(١)
وأبرز ممدوحيه أمير المؤمنين المنصور الموحي ، أبو يوسف يعقوب بن عبدالمؤمن ، مدحه في مقطوعة وقصيدتين^(٢) واقتخر به لأنه ناوأ الفلاسفة

(١) ق ٣٨ / ٤٨ .

(٢) تنظر ق : ١ ، ٥١ ، ٦٠ .

وذاذ عن الدين الحنيف ، فهو بذلك لا يختلف عن المصلحين الذين يبعثون
في كل مئة سنة ، وفي أخرى يقول :

بلغتَ أميرَ المؤمنين مدى المنى لأنك قد بلغتنا ما نُؤملُ
قصدتَ إلى الإسلامِ تعلّي مناره ومقصّدك الأسنى لدى الله يقبلُ
تداركتَ دين الله في أخذِ فرقةٍ بمنطقهم كان البلاءُ موكلُ

ومعدوحه الثاني هو صلاح الدين الأيوبي ، مدحه لأنه واحدٌ من الذين
أذهلتهم انتصاراته وليس لدينا دليل على أنه التقى به ، وقد خاطبه
بقصيدتين طويلتين ميمية ورائية ^(١) ، ونقدر من خلال الرحلة ، أن الأولى
نظمت بعد المحرم سنة ٥٨٠ هـ حيث يصل المدينة المنورة ويستهلها بقوله :

صلاحُ الدين أنت له نظام فما يخشى لعروته انقصامُ
فاظهرُ سنّة الله احتسابا فقد ظهرتَ بها البدعُ العظامُ

ومن البيت الثاني يفهم بيت القصيد في قصيدته ، إذ يتوجه إلى
صلاح الدين ويحرضه على النظر فيما ظهر من البدع في المدينة المنورة ،
وهو ما يذكره ابن عبد الملك المراكشي في مناسبتها لكن المقري - الذي يورد
بيتاً واحداً منها - يذكر أنه فيها يشكو من (شاكر) الذي أخذ المكس من
الناس ، وليس في القصيدة إشارة إلى ذلك ، وإنما نجد هذه الشكوى في
قصيدته الرائية ^(٢) : تصور لنا قصيدته بلاد الحجاز ، حين وصوله لها غير
خاضعة لسلطان الأيوبيين . ^(٣)

(١) ق : ٣٨ ، ٦٧ .

(٢) ق : ٣٨ .

(٣) خضعت بلاد الحجاز لحكم الفاطميين ، كان ذلك في عهد كل من الحاكم والظاهر والمستنصر
(٣٨٦ - ٤٨٧ هـ) وخلال حكم الأخير (المستنصر) استولى حلفاؤه الصليحيون حكام اليمن
على الحجاز سنة ٤٥٦ هـ ، وأقاموا أسرة علوية أخرى عرفت بالهواشم أو الهاشميين استمر
حكمها حتى سنة ٥٩٨ هـ وعلى الرغم من أن ولاية مكة والمدينة أقاموا في فترات مختلفة
الدعوة لبني العباس ، فإنهم حرصوا على إظهار ولايتهم للخلفاء الفاطميين ، النفوذ الفاطمي
في جزيرة العرب ٢٦ ، في التاريخ العباسي والفاطمي ٣٤٢ - ٣٤٣ .

وما نالَ الحجازُ بهم صلاحاً وقد نالتهُ مصرُ والشَّامُ
وماورد في القصيدة من مديح بالأسلوب المباشر ، وتعداد خلال المدوح
وصفاته قليل جداً ، إذ تنصرف القصيدة إلى وصف ما رآه ووقف عليه في
المدينة ، وكان ابن جبير قد ناله أذى من صاحب المكس - وهو يذكر ذلك في
رحلته « ولولا مغيب هذا السلطان العادل ، صلاح الدين بجهة الشام في حروب له
هناك مع الفرنج لما صدر عن هذا الأمير المذكور ما صدر من جهة الحاج ، وهو
يشير بذلك إلى المكس الذي فرض عليهم . وجلاء الأمر في قصيدته الأخرى -
نرائية التي نظمها بعد رحلته الثانية ٥٨٥ هـ . إذ فيها يهنئ صلاح الدين على
فتحه بيت المقدس سنة ٥٨٣ هـ فيقول :

فتحتَ المقدسَ من أرضه فعادتْ إلى وصفها الطَّاهر
وجئتَ إلى قدسه المرتضى فخلصته من يدِ الكافرِ
ويصف الأذى الذي ينال الحجاج فيقول :

يعنفُ حجاجَ بيتِ الإله ويسطو بهم سَطوةُ الجائرِ
ويكشفُ عما بأيديهمُ وناهيكَ عن موقفٍ صاغرِ
وقد أوقفوا بعدما كوشفوا كأنهمُ في يدِ الأسرِ
فلما رفع صلاح الدين تلك المغارم ، وخصص أعطيات عوضاً عما كانوا
يأخذونه من الحاج خاطبه بقوله :

رفعت مغارمَ أهل الحجاز بإنعامك الشَّاملِ الغامرِ
وأمنتُ أكنافَ تلك البلادِ فهانَ السبيل على العابرِ
وبذلك يملأ حبه قلوب الناس ويستأهل الإكبار والإجلال :

محبتم ألقى في النفوس بذكرٍ لكم في الورى طائرِ
فكم لك بالشرق من حامدٍ وكم لك بالغرب من شاكرِ
وكم بالدعا لكم كلُّ عامٍ بمكةً من معلن جاهرِ

وتلك المشقة التي نالت الحجاج من حكام الحجاز موصوفة في الرحلة بقوله :

« يعتقدون في الحاج ما لا يعتقد في أهل الذمة .. وقد صيروهم من أعظم غلاتهم التي يستغلونها ، ينتهبونها انتهاباً ، ويسببون لاستجلاب ما بأيديهم استجلاباً » (١) .

ذكرنا مدحيه - المنصور الموحي وصلاح الدين الأيوبي ، وأما الثالث فهو الصدر الحندي أبو القاسم عبداللطيف بن محمد ، الذي أعجب به إعجاباً كبيراً في رحلته لما رأى من علمه وخلقه ، فوصف مجلسين من مجالسه ، وهو يحدث بالمدينة في ٧ المحرم و ١٢ صفر سنة ٥٨٠ هـ ، وقال : « واستجزناه فأجازنا نثراً ونظماً ، وهو أعظم من شاهدنا بهذه الجهات » (٢) ، ومما قال فيه :

يا مَنْ حوَاهُ الدِّينُ فِي عَصْرِهِ صَدْرًا يَحِلُّ الْعِلْمُ مِنْهُ فَوَادُ
لَا يَبْتَغِي مِنْهُ سِوَى أَحْرَفٍ يَعْتَدُّهَا أَشْرَفُ ذَخْرِ يَفَادُ
إِجَازَةً يورِثُهَا الْعُلَا جَائِزَةً تَبْقَى وَتَفْنَى الْبِلَادُ (٣)

وواضح من الأبيات أنها صدرت - على سبيل الأخويات لا على سبيل المديح - بالمفهوم التقليدي - وبهذه الروح يجيب ابن جبير على أبياته فيقول :

لَكَ اللَّهُ مَنْ خَاطَبَ خَلْتِي وَمَنْ قَاسَ يَجْتَدِي سَقَطَ زَنْدِي
أَجَزَتْ مَا أَجَازُوهُ لِي وَمَا حَدَّثُوهُ وَمَا صَحَّ عِنْدِي (٤)

ب - النقد الاجتماعي والشكوى من الزمان :

تؤلف شكوى ابن جبير من الزمان نزعة واضحة في أشعاره ، فقد وسم

(١) رحلة ابن جبير : ٥٤ .

(٢) الرحلة ١٧٩ ، وانظر وصف مجلسه في الرحلة ١٧٧ ، ١٩٦ ، وفي ملحق نشره نموذج منها .

(٣) ق ١١ .

(٤) الرحلة ١٧٩ .

جزءاً من ديوانه بـ « نظم الجمان في التشكي من إخوان الزمان » ، ذكر ابن عبد الملك المراكشي أنه يشتمل على أكثر من مئتي بيت في قطع ، ومن هذا الجزء بين أيدينا حوالي عشرين قطعة وقصيدة .

كان ابن جبير فقيهاً متصلاً بمجتمعهم كما تقدم في حديثنا عن أخلاقه^(١) ، وهو يصدر في كثير من سلوكه مع المجتمع عن وجهة دينية ، فإذا شكا الزمان ، فإنما يشكو إخوان الزمان ، وينفذ من خلال هذه الشكوى إلى دعوة الإصلاح الاجتماعي بعد تشخيص المظاهر المعيبة ونقدها ، وهي نزعة لا يتفرد بها ابن جبير في عصره ، وقد كان من ألمع أعلامها في المشرق أبو العلاء المعري . وابن جبير يتحمس للالتزام بما كان عليه السلف وينكر محدثات الأمور :

قد أحدث الناس أموراً فلا تعمل بها إنني امرؤ ناصح

فما جماع الخير إلا الذي كان عليه السلف الصالح^(٢)

وكثيراً ما يكون التقاطع والتدابير سبباً إلى الضياع والفرقة ، وينتقد هذه الظواهر ، فيقول :

إلى الله أشكو ما تكن الجوانح تقاطعت الأرحام حتى الجوارح

فلمست ترى إلا قلوباً وألسناً مخالفة هذي لهذي كواشع^(٣)

ويرى أن الأمور كلها بيد الله ، فينكر التذلل والتمسح للولادة والحكام :

من الله فاسأل كل شيء تريده فما يملك الإنسان نفعاً ولا ضراً

ولا تتواضع للولادة فإنهم من الكبر في حال تموج بهم سكرًا

وإياك أن ترضى بتقبيل راحة فقد قيل فيها إنها السجدة الصغرى^(٤)

(١) انظر ص ٣٩ .

(٢) ق ١٠ .

(٣) ق ٩ .

(٤) ق ٢٥ .

وفي أبيات أخرى يدعو إلى الترفع عن خطط الدنيا ومناصبها
والتعالي على سفاستها :

من كبرت عن قدره خطة داخله من أجلها الكبر
ولاية الإنسان سكر فما دامت له دام به السكر
دعهم مع الدهر وأحداثه حتى ترى ما يصنع الدهر (١)

ويتوجه إلى البغاة الظالمين بأن يقصروا عن بغيتهم :

أيها المستطيل بالبغي أقصر ربما طأطأ الزمان الرؤوسا (٢)

ويسترسل في توجيه النصيحة للالتزام بالدين الحنيف - وعدم إهدار
الوقت بجمع المال (٣)، ويدعو الإنسان إلى التواضع ، ويزين صنع المعروف
في أهله وتطويع شهوة الإنسان لإرادته (٤). ويصدر عن تجربة مريرة في عدد
من قصائده - مما يلقاه من إخوان الزمان خلال رحلاته وأسفاره ويفقد الأمل
في صلاحهم :

صبرتُ على غدرِ الزَّمانِ وحقدِه وشابَ لي السَّمُ الزُّعافِ بشهدهِ
وجرَّيتُ إخوانَ الزَّمانِ فلمَ أجدُ صديقاً جميلَ الغيبِ في حالِ بُعدهِ
وكم غرَّني تحسِينُ ظني به فلم يُضِيءَ لي على طولِ اقتداحي لزندهِ
وأغربُ من عنقاءٍ في الدهرِ مغرب أخو ثقة يسقيكَ صَافِي ودَّه
وشاهدتُ في الأسفارِ كلَّ عجيبةٍ فلم أرَ من نالَ جدًّا بجدِّه (٥)

والناس بعد هذه التجربة ظروف محشوة بالمرارة وفوق أفواها شيء

(١) ق ٣٠ .

(٢) ق ٣٩ .

(٣) ق ٤٤ .

(٤) ق ٦١ ، و ٦٣ .

(٥) ق ٢٠ .

من العسل^(١) وهو يلقى الخطوب خلال صحبته الزمان :

ومن تَطلَّ صحبةُ الزَّمانِ له يلقَ خطوباً به وأنكادا^(٢)

وتغيرُ إخوان الزمان أحد تلك الخطوب ، فيخاطب أبا عمران المارثلي بقوله :

تغير إخوان هذا الزمان وكل صديق عراه الخلل

وكانوا قديماً على صحة فقد داخلتهم حروف العلل

قضيت التعجب من شأنهم فصرت أطالع باب البدل^(٣)

وينتهي إلى أن يسأل الله الراحة من دنياه لأن حاجته فيها إلى البشر

والبشر بعد خلاصة تجاربه ، كسر لمنجبر ، ما هم جبرٌ لمنكسر^(٤).

ج - نقد الفلاسفة وهجاؤهم :

يشغل نقد ابن رشد عند ابن جبير مساحةً كبيرةً من أشعاره ، وهو لا

يكف عن التعريض بالفلاسفة والدّهريّة - وموقف الأندلسيين من الدعوات

الفلسفية صارم فـ « كل العلوم لها عندهم حظ واعتناء إلا الفلسفة والتنجيم

فإن لهما حظاً عند خواصهم ، ولا يتظاهر بها خوف العامة فإنه كلما

قيل فلان يقرأ الفلسفة أطلقت عليه اسم زنديق ، وقيدت عليه

أنفاسه »^(٥).

وقد تبنى هذا الموقف بعض أمراء الأندلس ومنهم المنصور الموحدي ،

وفي ظله أشعل ابن جبير نار الحرب ضد ابن رشد والفارابي ، وهو رجل

غيور على الشريعة يخشى عليها القدح والثلم ، وكان الموحدون قد عُرِفوا

(١) ق ٦٢ .

(٢) ق ١٣ .

(٣) ق ٥٦ .

(٤) ق ٣٤ .

(٥) نفع الطيب ١/٢٢١ .

بدعوتهم إلى الأخذ بالكتاب والسنة ، ويرى بعض الدارسين أن بغضه للفلسفة نتيجة لتأثره مما سمعه في بيئات المشرق التي اتصل بها أثناء رحلته (١) ، وهو في سبيل القضاء على دعوتهم يخاطب المنصور الموحي بقوله :

خليفة الله أنت حقاً فارّق من السَّعد خيرَ مرقى
حميتُمُ الدِّينَ من عداه وكلّ من رام فيه فُتقاً
تفلسفوا وادّعوا علوماً صاحبها في المعادِ يَشقى (٢)
ويرى فيها فساد الدنيا والدين :

قد ثبَّت الغيُّ في العباد طائفةُ الكونِ والفسادِ
يلعنُها الله حيث كانت فإنها آفةُ العبادِ (٣)
ويجد فيها الشؤم والفحش والجهل والسفه :

قد ظهرت في عصرنا فرقةٌ ظهورُها شؤمٌ على العصرِ (٤)
ويقول :

يا وحشةَ الإسلام من فرقةٍ شاغلةٍ أنفُسَها بالسُّفهِ
قد نبذت دينَ الهدى خلَقها وادعت الحكمةَ والفلسفةَ (٥)
وتشتد سورة الغضب عنده فيصفهم بأنهم مارقون من الدين
يستبيحون المحرمات ويتهاونون في الفرائض :

أباحوا كلَّ محظورٍ حرامٍ وردُّوه لأنفسهم حلالاً
فيأتون المناكرَ في نشاطٍ ويأتون الصَّلَاةَ وهم كُسالى (٦)

(١) التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية ١٥٣ .

(٢) ق ٥١ .

(٣) ق ٢١ .

(٤) ق ٣٣ .

(٥) ق ٤٩ .

(٦) ق ٥٨ ، وتنظر : ق ١٥ ، ق ٧٦ ، ق ٨١ .

وقد كان من شأن المنصور الموحي أن نكب ابن رشد سنة ٥٩٣ هـ ، إلا أنه لم يلبث أن أرسل إليه وعفا عنه ، ويقال : إن ابن جبير شهد دفن ابن رشد وكان في حال تأثر شديد^(١) .

د - الشوق والحنين :

قام ابن جبير - كما تقدم - برحلات ثلاث ، كانت الأولى سنة ٥٧٨ هـ والأخيرة سنة ٦٠١ هـ ، وبين هذين التاريخين كان دائم الشعور بالشوق والحنين ، فحين يكون في وطنه يشتد به داعي الشوق إلى الأماكن المقدسة ، وما أن يفصل عن البلاد المقدسة حتى ينكص شوقه ويرتد إلى وطنه الذي تغرب عنه ، استمع إليه وقد تحرك إلى الرحلة الحجازية :

أقول وقد دعا للخير داع	حننت له حنين المستهام
حرام أن يحل بي اعتياض	ولم أرحل إلى البيت الحرام
فلا طافت بي الآمال إن لم	أطف ما بين زمزم والمقام
ولا طابت حياة لي إذا لم	أزر في طيبة خير الأنام
فأهديه السلام وأقتضيه	رضا يدني إلى دار السلام ^(٢)

وحين يهنئ حجاجاً عائدين سبق له أن اجتمع بهم في مكة يشتد وجده وشوقه ليقول :

يا وفود الله فزتم بالمنى	فهنيئاً لكم أهل منى
قد عرفنا عرفات معكم	فلهذا برح الشوق بنا
أنتم الأحباب نشكو بعدكم	هل شكوتم بعدنا من بعدنا
ما عنى داعي النوى لما دعا	غير صب شفه برح العنا ^(٣)

(١) التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية ١٥٣ هامش ٣ .

(٢) ق ٦٨ .

(٣) ق ٦٩ .

والمقصورة في وزنها وعدد أبياتها توافق قصيدة نظمها أبو بكر
السلوي^(١) (ت ٥٦٣ هـ) ، إلا أنها تختلف عنها في قافيتها ، ومطلع
قصيدة السلوي :

يا حداة العيس مهلا فعسى يبلغ الصب لديكم أملا
وهي في ستة عشر بيتاً ، ومن النظر في القصيدة يتجلى بوضوح أن
كلتا القصيدتين يقف عند الحادي وآثاره في النفس ، ويذكران تباريح الشوق
وانسكاب الدموع وجربانها ، وكلتا القصيدتين تذكر الأماكن المقدسة ،
السلوي يشير إلى عرفات ويثرب ، وابن جبير يذكر الخيف ، إلا أن لواعج
الشوق وتباريحه كانت عند السلوي أشد مما نجد في قصيدة ابن جبير .

وحين يكون بعيداً عن وادي العقيق يقول :

سكان وادي العقيق شوقي إليكم في البعاد زادا

ونظرة منكم المنى لو أهديتموها إلي زادا^(٢)

وينفذ صبره بعد أن يجور الزمان عليه بفراق أهل طيبة فيجاري دمه
أدمع المزن^(٣) ، وترهف مشاعره بحب النبي الكريم ، فحين يقترب من مدينة
الرسول ﷺ يشير سراج الهدى له الدرب ، والليل يتجلى نهاراً ، وشذا المسك
يفوح من الديار ، والرواحل تبتدر مسرعة بعد أن كانت تشتكي النصب .
وهو يمضي ببغيته لا يملك إلا البكاء :

سوى أننا لم نطق أعينا بأدمعها غلبتنا انفجارا^(٤)

ويمضي ابن جبير في وصف لواعج الشوق وعظيم السرور بلقاء حبيبه
سائلاً الله سبحانه أن يمهده له - بلحظة من الرسول ﷺ - جنته .

(١) تنظر قصيدته في زاد المسافر ص ١٥٨ .

(٢) ق ١٤ .

(٣) ق ٢٧ .

(٤) ق ١٩/٢٨ .

وكانت النزعة مستحكمة في أشعار الأندلسيين في تفضيل الغرب على الشرق - تروم من ذلك إلى إثبات الشخصية الأندلسية - وفي ذلك كتب ابن حزم والشقندي وابن سعيد رسائلهم^(١) .. لكن شوق ابن جبير وضميره منشدان إلى بلاد الشرق لكرامة من فيه ... فإذا برحت به الغربة وذاق لأواعها تذكر أوطانه ، وأرسل دموعه قرابين ، فمما قاله وهو بمصر :

شهدنا صلاة العيد في أرض غربة بأحواز مصر والأحبة قد بانوا
فقلت لخلي في النوى جد بدمعة فليس لنا إلا المدامع قربان^(٢)
وهو يعاود البكاء في تذكر الأوطان دائماً :

ويرسل للغرب من دمه غروباً لتسقي سكانه^(٣)
وحين يقطع غصناً نضيراً فيذوي في يده يقول :

لا تغترب عن وطن واذكر تصاريف النوى
أما ترى الغصن إذا ما فارق الأصل ذوى^(٤)
ونراه في موقف آخر يشتاق إلى غرناطة فيقول :

يا دمشق الغرب هاتيـك لك لقد زدت عليها
تحتك الأنهار تجري وهي تنصب إليها^(٥)

وتجود قريحته بشعر رائق ، يضطرب بالعواطف حين تلوح له جبال « دانية » وهو على ظهر البحر عائداً من رحلته الأولى .

ياليث شعري والآمال معوزة وربما أمكنت يوماً لمختلس
هل يدنون مزار الشوق أن به ما شئت من نهزٍ للأس أو خلّس

(١) أورد المقرئ رسائلهم في نفع الطيب ، ونشرها د. صلاح الدين المنجد بعنوان : فضائل الأندلس وأهلها (ط دار الكتاب الجديد ١٩٦٨ م ، بيروت) .

(٢) ق ٧١ .

(٣) ق ٧٠ .

(٤) ق ٨٣ .

(٥) ق ٨٠ .

وهل تعودنَ أيامَ رشتُ بها سلاقة العيش أحلى من جنى اللبس
حيث انبسطنا مع اللذات تنقلنا أيدي المسرات من عيد إلى عرس^(١)

والملاحظ أن شوق ابن جبير وحنينه متصلان بوطنه في أكثر القطع التي
نظمها ، وفي الوطن ذكريات عزيزة تقترن بالأهل الذين خلف فيهم الله
سبحانه ، واستودعه إياهم .

أيا رب أهلي في يدك وديعه وما عدت صوناً لديك الودائع^(٢)
وهو يتشوق لأهله وخلاته في قطع أخرى فيكتب أبياتاً يخاطب فيها
البجائي والي قضاء سبتة بلواعج شوقه ، وحبه لزوجه التي وسّدها الشرى
هناك :

فلو أستطيعُ ركبتُ الهوا فزرتُ بها الحيّ والميتا^(٣)
كما يتشوق إلى جارية بغرناطة ، ويرسل تباريح الشوق التي لا صبرَ
له عليها :

ولي بغرناطة حبيب قد غلقَ الرهن في يديه
ودعته وهو بارتماضٍ يُظهرُ لي بعضَ ما لديه^(٤)
وكنا نؤمل أن يستوعب شعره وصف البلاد العريضة التي طاف بها
وضرب في أرجائها ، فلم نحظ بشيء يذكر فيه ، وقد ظفرنا بقطع في غزل
بمحبوب^(٥) واستحسان للصوت الجميل^(٦) ووصف للقلم^(٧) .

(١) ق ٤١ .

(٢) ق ٤٥ .

(٣) ق ٧ .

(٤) ق ٧٧ .

(٥) ق ١٦ .

(٦) ق ٣٥ .

(٧) ق ٥٠ .

السمات الفنية في شعره

السمات الفنية في شعره

لا شك أن ابن جبير نال قسطاً من الثقافة الأدبية ، فهو يروي الشعر ويحفظ نصوصاً منه ، وهو يهتز لجيد الشعر حين يستمع لرئيس الشافعية صدر الدين الخجندي ينشد أبياتاً في مدح الرسول ﷺ^(١) ، ويعجب بابن الجوزي وهو ينشد بأشعار من النسيب مبرحة التشويق بديعة الترقيق تشعل القلوب وجداً ... « وأصاب المقاتل سهام ذلك الكلام »^(٢) حين تثور الريح الشمالية ويكابد الأمرين يقول : فله در القائل :

البحر مرُّ المذاقِ صعبٌ لا جعلتُ حاجتي إليه
أليس ماءً ونحن طينٌ فما عسى صبرنا عليه^(٣)

ويروي أبياتاً لأبي محمد عبد الخالق المسكي حين مجيئه من قرافة مصر ، جرت بين يحيى بن هذيل وابن القوطية^(٤) ، كما يأخذ بالمباح في السماع حين يقول :

زيادة حسن الصوت في الخلق زينة يرون بها لحن القريض المحبر
ومن لم يحركه السَّماع بطيبة فذلك أعمى القلب أعمى التصوير

(١) الرحلة ١٧٨ .

(٢) الرحلة ١٩٩ .

(٣) الرحلة ٢٨٨ ، والبيتان لابن رشيق القيرواني ، ينظر الديوان ٢٢٦ .

(٤) بدائع الهدائه ٥٥ .

وأهل الحجا أهلُ الحجاز وكلهم رأوه مباحاً عندهم غير مُنكر
فإن رسولَ الله قد قال زِنُوا بأصواتكم أي الكتاب المطهر
فإن أك مُغرى بالسَّماع وحسنه فحسبي اقتداءً بالكریم ابن جعفر^(١)

وحمل ابن جبیر قلباً كبيراً يعتلج بعاطفة جياشة ، دفعه إلى التأسي بالرحلة في سن كبيرة بعد وفاة زوجته (أم المجد) ، وهو أمر لا يقدم عليه الكثيرون . وقد حرمننا للأسف ديواناً نادراً في الشعر الأندلسي أفرده في رثاء زوجته لمكانتها في نفسه ، فهو أول ديوان أفرده شاعر عربي كبير لبكاء زوجته الراحلة^(٢).

ولم يكن نظم الشعر عند ابن جبیر عملية مؤرقة ، يكد ذهنه فيها ، وإنما كان يسحّ بالشعر وينساب انسياً ، فقد نظم قصيدته الرائية ارجحاً حين تراءت له المدينة^(٣) ، ومن خلال أشعاره يلمح العبدري أن ابن جبیر متأثر في بعض أشعاره بمنصور الفقيه (ت سنة ٣٠٦ هـ)^(٤).

سلك ابن جبیر في أشعاره سبيلين : المقطعات الشعرية والقصائد الطويلة .. والأسلوب الأول كان شائعاً في عصره ، أولع به شعراء الأندلس : ابن زيدون وابن اللبانة وابن خفاجة وابن الزقاق البلنسي والرصافي البلنسي وغيرهم .. ومقطعاته تؤلف - من خلال مجموع شعره - نسبة عالية ،

(١) ق ٣٥ (وإباحة السماع وردت بمذهب مالك) .

(٢) مقالة رحلة ابن جبیر - مجلة تراث الإنسانية ٢٣٩/١ ، وكان الشعراء قديماً رثوا زوجاتهم إلا أننا لا نعرف من ترك ديواناً كاملاً في رثائها ، ومن الذين رثوا زوجاتهم بالأندلس ابن الزقاق البلنسي (ت ٥٣٠ هـ) والأعشى التطيلي (ت ٥٤٢ هـ) وأبو عامر ابن الحمارة الغرناطي تلميذ ابن باجة الفيلسوف منها :

ولما أن حلت التراب قلنا : لقد ضلت مواقعها النجوم

(٣) تنظر ق ٢٨ .

(٤) رحلة العبدري ٧١ .

حوالي ثلاثة أرباع شعره ، وأما قصائده الأخرى ذات النفس الطويل فهي ضئيلة ، وقد استأثرت المقطوعة بإعجاب الأندلسيين حتى كان ذلك مدعاة لفخر بعض الشعراء (١) .

وفي الغالب تستهدف المقطوعة الشعرية عند ابن جبير : الإبداع الفني ، والبراعة اللغوية ، والكثير منها في ديوانه الموسوم « نظم الجمان في التشكي من إخوان الزمان » .

وقد قصد ابن جبير لتحقيق الجناس وفنون البديع الأخرى في مقطوعات كثيرة (٢) استمع إليه يقول :

سكان وادي العقيق شوقي	إلبيكم في البعاد زادا
ونظرة منكم المنى لو	أهديتموها إلي زادا
عهد لنا عندكم حميد	يا ليت به بالوصال عادا
صادق فيه الكرى جفوني	وبعدكم للجفون عادى (٣)

فالتجنيس واضح في (زادا) بالبيتين الأولين و(عادا) بالآخرين، ومثل ذلك بين لفظتي (الرشد) و(رشد) في قوله :

لم تلزم الرشد يا ابن رشد	لما علا في الزمان جدك
وكنت في الدين ذا رياء	ما هكذا كان فيه جدك (٤)

وتعلق ابن جبير بالجناس في منظومه يفضي به إلى (لزوم ما لا يلزم)

(١) هجا الأبيض بن صارة الشنتريني فقال :

غروه أن قالوا شويعة قطعة لا شاعر فعل يمر وينتقض
يريد أن الشاعر أصبح مغروراً لأن الناس أعجبوا بمقطوعاته القصار ، ينظر : ابن صارة الأندلسي ٢٣ .

(٢) انظر ق ١٣ و ٢٧ ، ٢٩ ، ٤٧ ، ٤٨ ، و ٧/٦٩ ، ١١ ، ١٦ .

(٣) ق ١٤ .

(٤) ق ١٥ .

وهو أن يأخذ الشاعر نفسه بالتزام حروف وحركات في القافية لا تتطلبها قواعد علم القافية ، زيادة في الإيقاع الموسيقي للقافية وإظهاراً للمهارة ، ونلقى ذلك في عشر مقطوعات ، ففي المقطوعة الأولى المذكورة آنفاً التزم حرف الروي بالألف ، وفي المقطوعة الثانية .. التزم بحرف الدال والجيم .. ووصل بالكاف .. وتتجلى قابليته أبرع ما تكون في قوله :

إذا بلغ المرء أرض الحجاز فقد نال أفضل ما أمله
وإن زار قبر نبي الهدى فقد أكمل الله ما أم له (١)

وقوله :

هنيئاً لمن حج بيت الهدى وحط عن النفس أوزارها
وإن السعادة مضمونة لمن حل طيبة أو زارها (٢)

ويرى الدكتور إبراهيم أنيس أن اللزوميات تتدرج من ثلاثة أصوات إلى ثمانية ، والنوع الأخير هو أقصى ما يمكن أن يطمح إليه الشاعر من الموسيقى . وهي تتطلب في إنشادها ما يقرب من ثمانية ونصف (٣) .. ويلاحظ أن ابن جبير في لزومياته يلتزم بوحدة زمنية ، كما هو واضح في المقطوعتين الأخيرتين .. وهو في هذا يعكس لنا ملكته اللغوية وثقافته فيها .

ومن فنون البديع الأخرى التي التزمها فضلاً عن الجناس حسن التعليل والتورية استمع إليه يقول :

(١) ق ٥٧ .

(٢) ق ٢٩ وانظر كذلك ق ٨ ، ٣٣ ، ٤٧ ، ٤٩ ، ٥٩ .

(٣) موسيقى الشعر : ٢٧٨ .

أخلاء هذا الزمان الخؤون توالت عليه صروف العِللِ
تَغْيِرُ إخوان هذا الزمان وكلُّ صديق عَراه الخللُ
وكانوا قديماً على صِحَّة فقد داخلتهم حروف العِللِ
قضيت التَّعَجُّب من شأنهم فصرتُ أطلعُ بابَ البَدلِ^(١)

فلفظتا (العلل والبذل) فيهما مدلول اصطلاحى في علم المنطق ..
وهو يريد بهما المعنى الآخر ، وقصده التورية اضطره إلى الوقوع في خطأ
التضمنين ، فأورد (العلل) مرتين في معنى واحد قبل مضي سبعة أبيات ،
وقد استطاع الشاعر باستخدامه لأسلوب السخرية والتهكم أن يجسد لنا
صورة ذات مدلول بليغ لتغير الناس وتقلبهم .

كذلك نجد أن ابن جبير يكثر الاقتباس من القرآن الكريم^(٢) والحديث
الشريف والأمثال العربية المأثورة ، مكرراً ذلك في قصائد ومقطوعات كثيرة
لا تخفى على المتأمل .. وهو بذلك يعكس لنا وجهاً آخر من أوجه ثقافته
ويحاول أن يبسطها للسامعين . واقتباسه من القرآن الكريم في كثير منه
محمود معقول ، لأنه يقصد من ورائه الموعظة والنصيحة ومن ذلك قوله :
« وكن بحبل الله معتصماً »^(٣) و « أذهب الرجس عنهم »^(٤)
و « جاهدوا في الله حق جهاده »^(٥) و « قارون من قوم موسى »^(٦)

(١) ق ٥٦ .

(٢) للعلماء مواقف متباينة في الاقتباس من القرآن الكريم ، انظر أنوار الربيع ٢١٧/٢ وما بعده ،
وتنظر التخریجات في الديوان .

(٣) ق ٢/١٣ .

(٤) ٢/٢٦ .

(٥) ق ٩/٢٦ .

(٦) ق ٣٩ .

و « يأتون الصلاة وهم كسالى »^(١) . وفي اقتباسه من الحديث الشريف يدرك غايته كذلك بالوعظ والنصح ، من ذلك قوله : (مطهراً دينه في رأس كل مئة)^(٢) و (فإن زنا العيون النظر)^(٣) و (جنودك بالرعب منصور)^(٤) و (آثرت درء الحد عنهم بشبهة)^(٥) .

ومن اقتباساته من الأمثال قوله : (فعند جهينة الخبر) و (إن البلاء موكل بالمنطق) و (من قبل قرعك سنّ الندم)^(٦) .. وفي كثير من اقتباساته يغير بزيادة أو نقصان أو إبدال . فإذا لم يقتبس قاس المعاني بلطف وبلاغة فصاغها في قالب جديد :

من الله فاسأل كل شيء تريده فما يملك الإنسان نفعاً ولا ضرراً
ولا تتواضع للولاء فانهم من الكبر في حال تموج بهم سكرا

يقول العبدري: « ونهيه عن التواضع للولاء حكم شرعي - قال ﷺ :
« من تواضع لغني ذهب ثلثا دينه »^(٧) .
كذلك قوله :

فلست ترى إلا قلوباً وألسنا مخالفة هذي لهذي كواشع
فللقلب عقد واللسان بنطقه يخالفه والفعل للكل فاضع

فإنه مأخوذ من قول الحسن رضي الله عنه : (وألسن تصف ، وقلوب

(١) ق ٤/٥٨ .

(٢) ق ٢/١ .

(٣) ق ٢/٢٢ .

(٤) ق ١٠/٣٨ .

(٥) ق ٨/٦٠ .

(٦) ق ٩/٦٥ .

(٧) ق ٢٥ رحلة العبدري ٧١ .

تعرف وأعمال تخالف (١) .

وأما المعاني التي تجري فيها أشعاره فتتمثل فيها نظرة الفقيه المسلم للخلافة (٢) ، ونزعة الفقيه في محاربة البدع (٣) ، واستسلام الفقير إلى الله في كل شيء (٤) . وهو يتضرع إلى ربه دائماً لطلب المغفرة (٥) ، ويعلن حربه على الشهوات ، ويسعى لبذل الخير للناس وإعانتهم . وهو ضمن إطار هذه المعاني يكثر من ترددها .. ويضطر إلى تكرارها في أكثر من مقطوعة فيقول :

فيأتون المناكرَ في نشاط ويأتون الصلَاة وهم كُسالى

ويقول :

إذا قاموا لها قاموا كُسالى على كرهٍ كأنهم نيام (٦)

وهو لا يختلف كثيراً في قوله :

بالمنطق اشتغلوا فليلَ حقيقة : « إن البلاء موكل بالمنطق »

وقوله :

تداركت دين الله في أخذ فرقة بمنطقهم كان البلاء موكل (٧)

(١) رحلة العبدري ٩٨ ق ٩ .

(٢) ق ١ ، ٥١ .

(٣) ق ١٠ ، ٦٧ .

(٤) ق ٩/٢٠ - ١١ ، وق ٢٥ ، ٣٤ .

(٥) ق ١٢ ، ٤٥ .

(٦) ق ٤/٥٨ ، ١٧/٦٧ .

(٧) ق ٢/٥٣ . ٣/٦٠ .

وتتكرر هذه الظاهرة في مقطوعات أخرى^(١) .

وأما الموسيقى التي أسلس لها قوافيه واطمأنت إليها نفسه فهي في كثير تتحدد بالموضوع الذي يتناوله ، فنجد في بعض يستخدم البحور الطويلة الرحبة ، كالطويل والكامل والبسيط والمتقارب ، وفي بعض آخر يعمد إلى البحور السريعة والقصيرة والمجزوءة كالسريع والمنسرح ومخلع البسيط والخفيف والمجثث ، وفي الحاليين يأتي شعره في مقطوعات وقصائد ، فحظ البحور الطويلة كبير في المديح والحكمة والنصح الأخلاقي والوداع والفرار ، بينما يزداد حظ البحور القصيرة في هجاء الفلاسفة ونقد المجتمع وهجر الحبيب ... ومجموع ما نظمه في بحر الطويل والمتقارب والكامل هو ثمان وثلاثون مقطوعة وقصيدة . وهو يمثل حوالي نصف قطع المجموع الشعري تقريباً ، بينما مجموع ما نظمه في بحري السريع ومخلع البسيط هو ثماني عشرة مقطوعة وقصيدة ، وهو أقل من ربع المجموع الشعري الذي بين أيدينا ، وأكثر منظومه جاء في البحور الآتفة .

ولا نستطيع أن نفترض أن هناك موضوعات خاصة بكل بحر ، فالبحر الواحد قد يصلح لموضوعات الشعر بشكل عام ، كما أن الموضوع الواحد قد تصلح معه بحور الشعر كذلك ، ولكن نستطيع أن نقف مع الشاعر فتأمل الوزن الذي تخيره على سبيل المثال في موضوعين مختلفين ، ففي الحكمة والنصح الخلقى يقول :

عليك بكتمان المصائب واصطبر عليها فما أبقي الزمان شقيقا
كفاك من الشكوى إلى الناس أنها تسر عدواً أو تسوء صديقا^(٢)

(١) ق ٦١ ، ٦٣ .

(٢) ق ٥٢ .

فيستخدم بحر الطويل ذا الأمواج الهادئة والأجزاء الكثيرة ، متوغلاً إلى النفس الإنسانية في محاولة لتثبيت معاني الخير فيها ، بينما يتخير في هجائه للفلاسفة وزناً قليل المقاطع متلاحق الأجزاء يظهر جزعه مما هم عليه ، ويصبُّ جام غضبه عليهم :

يا وحشة الإسلام من فرقة شاغلةً أنفسها بالسُّفَه
قد نبذت دينَ الهدى خلفها وادَّعتِ الحكمة والفلسفه^(١)

وهكذا تتكرر الصورة في قطع أخرى .

استكمل ابن جبير عدة الشاعر ، واستطاع أن يسمو في بعض أشعاره إلى درجة الجودة لا سيما تلك التي يصدر فيها عن عاطفة غزيرة ، وصور فنية رائعة ، كما نجده في أشعار الشوق والحنين ، ولا ينفي ذلك هبوط المستوى الفني إلى درجة النثرية حين تتمكن منه الفكرة فيجري لأدائها ، ويتخلف في البراعة الفنية ، وليس من الإنصاف أن ننتهي إلى الحكم بأن شعره شعر علماء وفقهاء ليس بذِي قيمة^(٢) كما رأى بعض الدارسين ، وإن جنحت بعض قصائده إلى الأسلوب التقريري ، وخوت من العاطفة وافتقدت العنصر الذهني الفكري ، كما رأى الدكتور حكمة الأوسي^(٣) ، فإن عدداً آخر من قصائده تألق في ميدان الشعر ، على نحو ما بسطنا الحديث فيه آنفاً .

(١) ق ٤٩ .

(٢) مقدمة رحلة ابن جبير - تحقيق الدكتور حسين نصار ص (ط) .

(٣) الأدب الأندلسي في عصر الموحدين ١١٥ - ١١٦ .

القسم الثاني:

- التحقيق
- الديوان

(قافية الهمة)

(١)

قال يمدح المنصور الموحدى (*) :

- ١ خليفة الله دُم للدين تحرسه من العدى وتقيه شر كل فئة
٢ فالله يجعل عدلاً من خلافه مطهراً دينه في رأس كل فئة

(٢)

قال يخاطب بعض أصحابه بالقاهرة وقد أهدى إليه موزاً : (من المجتث)

- ١ يأمهدي الموز تبقى وميمه لك فاء
٢ وزايه عن قريب لمن يُناويك تاء

(٣)

أنشد ابن جبير بدمشق سنة خمس وثمانين : (من المتقارب)

- ١ صحبت الزمان وقابلته بصبر جميل إذا الخطبُ نابا
٢ وكم رام هضمي فما هاض لي جناحاً ولا فل للصبر نابا
٣ كذلك كنا قديماً إذا ما دعينا إلى خطة الضيم نابا (*)

(١) الذيل والتكملة ٣١/٦ .

(*) هو أبو يوسف يعقوب بن يوسف بن عبدالمؤمن ، أمه أم ولد ، يبيع في حياة أبيه وتولى بعد وفاته سنة ٥٨٠هـ إلى أن توفي سنة ٥٩٥ وكان له من العمر ثمان وأربعون سنة ، كان من الدعاة إلى الأخذ بالكتاب والسنة وحمل الناس على الظاهر من القرآن ، وكانت محنة ابن رشد في أخريات حياته في قصة وردت في المعجب ، إلا أنه لم يلبث أن أرسل عليه وعفا عنه ، انظر ترجمته في المعجب ٣٣٦ - ٣٨٥ .

(٢) في عجز البيت اقتباس من الحديث الشريف « إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها » انظر سنن أبي داود ٤٢٤/٢ .

(٢) الذيل والتكملة ٦٢٠/٢/٥ ، نفع الطيب ٣٨٤/٢ .

(٢) النفع : « لمن يعاديك تاء » .

(٣) عقود الجمان ج ٦ ورقة ٦٤ « ١ » ، ألف باء : ٢٧٦ « ١-٣ » .

(*) قال الهلوي : « ينقصه ناب ، سيد القوم ، وناب للناقاة المسنة » فقال مستكملاً هذين المعنيين :

ولم أرض بالذنن من دوننا ولا للذنائة أعلمتُ نأها =

(٤)

وقال : (من المجتث)

- ١ أَقْصِرْ عَنِ الْغَيِّ كَمْ ذَا تَدْعَى لِرَشْدٍ وَتَابِي
٢ لَا يَسْلُمُ الْعَبْدُ إِلَّا إِنْ اسْتَقَامَ وَتَابَا

(٥)

وقال : (من الوافر)

- ١ يُنِيلُ الْمَرْءُ تَبَصُّرَهُ وَذَكَرِي إِذَا مَا ابْيَضَ قُودَاهُ وَشَابَا
٢ وَمَا يُرْجَى لَتَوْتِيهِ قَبُولُ إِذَا مَزَجَ الرَّبَاءَ بِهَا وَشَابَا

(٦)

ولما وصل قرية (زيران) على شط دجلة على مرحلة من بغداد قرب مشهد سلمان الفارسي قال متذكراً بلده : (من الطويل)

- ١ سَقَى اللَّهُ بَابَ الطَّاقِ صَوْبَ غَمَامَةٍ وَرَدُّهُ إِلَى الْأَوْطَانِ كُلُّ غَرِيبٍ

(٧)

وقال (*) :

- ١ بِسَبْتَةٍ لِي سَكَنُ فِي الثَّرَى وَخِلٌ كَرِيمٌ إِلَيْهَا أَتَى
٢ فَلَوْ أَسْتَطِيعُ رَكِبْتُ الْهَوَا فَزَرْتُ بِهَا الْحَيَّ وَالْمَيِّتَا

= وَمَنْ كَانَ فِي دَهْرِهِ هَكَذَا فَذَلِكَ يُسَمَّى فِي الْأَقْوَامِ تَابَا
(٤) عقود الجمان ٦٤/٦ .

(١) سهلت همزة « تاي » لتنسجم مع ضرب البيت الذي يليه ، فتدخل القافية في لزوم ما لا يلزم .

(٥) عقود الجمان ٦٤/٦ .

(٦) رحلة ابن جبير ١٩٢ (بلا نسبة) ، نفح الطيب ٣٦/٢ .

(٧) لمح السحر ٥٥ ، نفح الطيب ٤٨٩/٢ .

(*) الأبيات مما كتبه ابن جبير من الديار المصرية في رحلته الأخيرة إلى أبي محمد عبدالله البجائي ويعرف بابن الطيب وكان والياً قضاء سبته ، وزوجته هي عاتكة المدعوة بأم المجد ، والدها الوزير الحسيب أحمد بن عبدالرحمن الوقشي ، توفيت لعشر خلون من شعبان سنة ٦٠١ بعد زمانة طاولتها عن خمسة وخمسين عاماً . انظر الذيل والتكملة ٦٠٦/٢/٥ .

(قافية الماء)

(٨)

وقال في صديق له :

- ١ لي صديقٌ خسرْتُ فيه ودادي حين صَارَتْ سَلامَتِي منه ربحاً
٢ حَسَنُ الْقَوْلِ سَيِّءُ الْفِعْلِ كالج زَارَ سَمَى وَأَتْبَعَ الْقَوْلَ ذُبْحاً

(٩)

وقال ينتقد المجتمع :

- ١ إلى الله أشكو مَا تُكِنُّ الجوانحُ تقاطعت الأرحامُ حتى الجوارحُ
٢ فليست تَرَى إلا قُلُوباً وألسُنًا مخالفةً هَذِي لهذي كواشِحُ
٣ فللقلب عقدٌ واللِّسانُ بنُطْقِهِ يُخَالِفُهُ وَالْفِعْلُ لِلْكَلِّ فَاضِحُ

(١٠)

وقال ينتقد المجتمع :

- ١ قد أحدثَ النَّاسُ أموراً فلا تَعْمَلُ بِهَا إِنِّي امرؤُ ناصِحُ
٢ فما جِماعُ الخَيْرِ إلا الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ السُّلْفُ الصَّالِحُ

(٨) نفع الطيب ٤٨٨/٢ - ٤٨٩ .

(٩) رحلة العبدري : ٩٨ .

(٢) الكواشع جمع كاشع وهو الذي يضمّر العداوة . وفي رحلة العبدري إشارة إلى أن البيتين

من قول الحسن رضي الله عنه « ألسنٌ تصفُ ، وقلوبٌ تعرف ، وأعمالٌ تخالف » .

(١٠) نفع الطيب ٤٩٢/٢ .

(قافية الدال)

(١١)

قال يمدح الصدر الحنجدي ويستجيزه (*) : (من السريع)

- | | |
|----------------------------|---------------------------|
| ١ يا من حواه الدين في عصره | صدراً يحلّ العلم منه فؤاد |
| ٢ ماذا يرى سيدنا المرتضى | في زائر يخطب منه الوداد |
| ٣ لا يبتغي منه سوى أحرف | يعتدها أشرف ذخيرة يفاد |
| ٤ ترسمها أنمله مثل ما | تمق زهر الروض كف العهاد |
| ٥ في رقة كالصبح أهدى لها | يد المعالي مسك ليل المداد |
| ٦ إجازة يورثنيها العُلا | جائزة تبقي وتفنى البلاد |
| ٧ يستصحب الشكر خديماً لها | والشكر للأجداد أسنى عتاد |

(١٢)

ومن شعره قوله في الزهد : (من مخلع البسيط)

- | | |
|-------------------------|-------------------------|
| ١ ياخير مولى دعاه عبداً | أعمل في الباطل اجتهاداً |
| ٢ هب لي ما قد علمت مني | يا عالم الغيب والشهاده |

(١١) نفع الطيب ٣٨٢/٢ .

(*) هو عبداللطيف بن محمد بن عبداللطيف بن محمد بن ثابت ، الحنجدي ، أبو القاسم أو أبو محمد الملقب بـ : صدر الدين من أهل أصبهان . تولى الرئاسة على قاعدة آباءه ، كان فقيهاً أديباً واعظاً وله شعر جيد ، ولد سنة ٥٣٥ هـ ، ومات في جمادى الأولى ٥٨٠ هـ ، وانتهت رئاسة الشافعية إلى ابنه « محمد » الملقب بسورالدين ، وقد وصف ابن جبير مجلسين من مجالسه بالمدينة في ٧ المحرم ١٢ و١٢٠ هـ ، وذكر أنه كان يعظ باللسانين ، ينظر طبقات الشافعية ٢٦١/٤ ، التكملة ٥٩٨/٢ ، وفي الرحلة : « استجزناه ، فأجازنا نثراً وشعراً ، الرحلة ١٧٩ ، وقد أجاب على أبيات ابن جبير وأجازه بقوله :

للك الله من خاطب خلعتي	ومن قابس يجتدي سقط زندي
أجزت ما أجازوه لى	وما حدثوه وما صح عندي
وكاتب هذي السطور التي	تراهن عبداللطيف الحنجدي

(٤) العهد : أول مطر الوسمي .

(١٢) نفع الطيب ٤٩٠/٢ .

(٢) في العجز اقتباس من القرآن الكريم ، الحشر : ٢٢ .

(١٣)

وقال في الحكمة والخلق الإسلامي وهو ينشد أبا عمرو بن الشقر (*)
بالإسكندرية :

(من المنسرح)

- ١ تَأْنُ فِي الْأَمْرِ لَا تَكُنْ عَجَلًا فَمَنْ تَأْتَى أَصَابَ أَوْ كَادَا
- ٢ وَكُنْ بِحَبْلِ الْإِلَهِ مَعْتَصِمًا تَأْمَنُ بِهِ بَغْيَ كُلِّ مَنْ كَادَا
- ٣ فَكَمْ رَجَاهُ فَنَالَ بِغْيَتَهُ عَبْدٌ مُسِيءٌ لِنَفْسِهِ كَادَا
- ٤ وَمَنْ تَطُلُ صُحْبَةُ الزَّمَانِ لَهُ يَلْقَ خَطَرًا بِهِ وَأَنْكَادَا

(١٤)

قال يتشوق لأهل العقيق :

(من مخلع البسيط)

- ١ سَكَّانَ وَادِي الْعَقِيقِ شَوْقِي إِلَيْكُمْ فِي الْبِعَادِ زَادَا
- ٢ وَنَظْرَةَ مِنْكُمْ الْمُنَى لَوْ أَهْدَيْتُمُوهَا إِلَيَّ زَادَا
- ٣ عَهْدُ لَنَا عِنْدَكُمْ حَمِيدٌ يَا لَيْتَهُ بِالْوَصَالِ عَادَا
- ٤ صَادَقَ فِيهِ الْكَرَى جُفُونِي وَبَعْدَكُمْ لِلْجُفُونِ عَادَى

(١٣) رحلة العبدري ٧٠ (٢-١) ، قصة يوسف ورقة ٤٣ (٢-١) منسوين إلى السهيلي ، سير

أعلام النبلاء ٤٧/٢٢ (٤-١) ، الحلل السندسية ٢٦٤/١/١ .

(*) لم نهتد إلى ترجمته فيما توفر لدينا من مصادر .

(٢) في صدر البيت اقتباس من قوله تعالى : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا .. ﴾ آل عمران :

١٠٣ ، وفي السير : « تأمن من بغى كيد من كادا »

(٣) الرحلة (بنفسه) .

(١٤) الذيل والتكملة ٦١٥/٢/٥ .

(١) العقيق : وادٍ بظاهر المدينة .

(١٥)

وقال يهجو ابن رشد (*) :

١ لم تَلْزِمِ الرُّشْدَ يَا بَنَ رَشْدٍ لِمَا عَلَا فِي الزَّمَانِ جَدُّكَ
٢ وَكُنْتَ فِي الدِّينِ ذَا رِيَاءٍ مَا هَكَذَا كَانَ فِيهِ جَدُّكَ

(١٦)

وله وقد هجره محبوبه :

١ يَا رَشَاءَ حَظِّيَ إِبْعَادُهُ وَحَظَّ غَيْرِي مِنْهُ إِسْعَادُهُ
٢ خِبْتُ وَكُلُّ نَالَ مِنْكَ الْعُلَا أَسْعَدُ أَهْلَ الْحَبِّ أَوْغَادُهُ
٣ بِي ظَمًا بَرَحَ لَكُنْهُ زَهْدٌ فِي الْمَوْرَدِ وَرَأْدُهُ

(١٧)

وقال (*) :

١ أَفْقِيهَنَا الْمُسْتَنَ دِينًا وَالَّذِي شَهِدْتُ لَهُ بِالْفَضْلِ مِنْهُ شَوَاهِدُ
٢ لَوْ تَبَصَّرُ ابْنَ سَعَادَةٍ وَنَدِيهِ قَدْ حَلَّ بَيْنَهُمَا الْغَزَالُ الشَّارِدُ
٣ لَرَأَيْتَ مِنْ ثِقَلٍ عَلَيْكَ وَخَفَةٍ جَبَلَيْنِ بَيْنَهُمَا نَسِيمٌ رَاكِدُ

(١٥) الذيل والتكملة ٣٠/٦ .

(ج) هو أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد ، فقيه حافظ مشهور ، شاذل في علوم
جمعة وعرف بالطب والفلسفة ، تولى القضاء بأشبيلية ثم بقرطبة . له كتب كثيرة نكب
سنة ٥٩٣ هـ زمن المنصور الموحدي ، ولد سنة ٥٢٠ هـ وتوفي بمراكش سنة ٥٩٥ هـ : ينظر :
المعجب ٣١٤ - ٣١٦ ، ٣٨٤ - ٣٨٥ ، التكملة رقم ٣٧٨ ، المغرب ١٠٤/١ - ١٠٥ ،
الذيل والتكملة ٢١/٦ - ٣١ ، الرافي بالوفيات ١١٤/١ ، الديباج المذهب ٢٨٤ ،
النجوم الزاهرة ١٥٤/٦ .

(١٦) زاد المسافر : ١١٤ .

(١٧) زاد المسافر : ١١٤ .

(*) المرجح لدينا أن الأبيات في ابن رشد .

(٢) ابن سعادة هو أبو عبد الله محمد بن يوسف بن سعادة ، مرسى سكن شاطبة وبنسبة وسمع
عن شيوخ زمانه ومنهم أبو الوليد بن رشد ، رحل إلى المشرق سنة ٥٢٠ هـ ، وكان مشاركاً
في علوم كثيرة ، موصوفاً بها ، وقد حدث عن عمه أبي عمران موسى بن سعادة ولد
سنة ٤٩٦ هـ ، وتوفي سنة ٥٦٦ هـ ، التكملة ٥٠٥/٢ ، نفح الطيب ١٥٨/٢ .

وقال :

(من الوافر)

- ١ بَنِي الْإِسْلَامِ جَدُّوا فِي الْجِهَادِ بِسْمِ الْخَطِّ وَالْبَيْضِ الْحِدَادِ
 ٢ وَبِيعُوهَا فَرِيكُمُ اشْتَرَاهَا نَفُوساً تَرِيحُوهَا فِي الْمَعَادِ
 ٣ عَدُوَّكُمْ بِعَقْرِكُمْ مُقِيمٌ لِيَسْتَوِلِيَ عَلَى مُلْكِ الْبِلَادِ
 ٤ وَبَيْتُ الْقُدْسِ يَفْرُقُ كُلَّ يَوْمٍ حِذَاراً أَنْ يَعُودَ إِلَى الْأَعَادِ
 ٥ وَدِينُ اللَّهِ يَلْحَظُهُ - أَغْنَانَا - بِجَفْنٍ قَدْ تَكَحَّلَ بِالسُّهَادِ
 ٦ فَسَلُّوا الْمَشْرِفِيَّةَ وَاسْتَقْلُوا بِهَا فَوْقَ الْمَسُومَةِ الْجِيَادِ
 ٧ فَلَيْسَ يَفُوزُ بِالْحُسْنَى سِوَى مَنْ تَدْرُعَ بِالْجِلَادَةِ لِلْجِلَادِ

وقال في رسالة يخاطب بها شيخ الشيوخ ابن حمويه : (*) (من الطويل)

- ١ إِلَيْنَا اقْصُدُوا يَا مَعْشَرَ الرِّكْبِ إِنَّا نَرَى الْعَارَ أَنْ تُسَمِّيَ بَغِيرٍ وَنُودِ

(١٨) عقود الجمان ٦٦/٦ .

(١) سمر الخط : الرُّمَاحُ الطويلة القصبة ، المنسوبة إلى الخطِّ ، مرفأ السفن بالبحرين
 (بالفتح أو الكسر) فيه تبايع الرماح ، لا لآثته منيتها .

(١٩) عقود الجمان ٦٦/٦ .

(*) علي بن حمويه ، هو تاج الدين أبو محمد عبدالله بن عمر بن علي بن حمويه ، مؤرخ
 باحث ، سافر إلى مراكش واتصل بالمنصور يعقوب بن يوسف بن عبدالمؤمن وأقام في
 خدمته وخدمة ولده سبع سنوات فعاد سنة ٦٠٠ هـ ، كان مفتشياً في العلوم عارفاً
 بالأصلين وبالفروع والترسل والتواريخ والهندسة والطب ، وسمع الحديث ، ومن كتبه :
 المؤنس في أصول الأشياء ، السياسة الملوكية ، المسالك والممالك ، عطف الذيل في
 التاريخ ، ولد سنة ٥٧٢ هـ بدمشق وتوفي فيها سنة ٦٤٢ هـ ، انظر مرآة الزمان
 ٧٤٨/٨ ، شذرات الذهب ٥/٢١٤ ، الأعلام ٤/١١٠ ، معجم المؤلفين ٦/٩٦ .

وقال في الشكوى من الزمان والحكمة :

- (من الطويل)
- | | |
|--|---|
| ١ صَبَرْتُ عَلَى غَدْرِ الزَّمَانِ وَحَقْدِهِ | وَشَابَ لِي السُّمُّ الزَّعَافَ بِشَهِدِهِ |
| ٢ وَجَرَيْتُ إِخْوَانَ الزَّمَانِ فَلَمْ أَجِدْ | صَدِيقًا جَمِيلَ الْغَيْبِ فِي حَالِ بُعْدِهِ |
| ٣ وَكَمْ صَاحِبَ عَاشِرَتِهِ وَأَلْفَتُهُ | فَمَا دَامَ لِي يَوْمًا عَلَى حُسْنِ عَهْدِهِ |
| ٤ وَكَمْ غَرْنِي تَحْسِينُ ظَنِّي بِهِ فَلَمْ | يُضِيءْ لِي عَلَى طَوْلِ اقْتِدَاحِي لَزْنِهِ |
| ٥ وَأَغْرَبُ مِنْ عِنَاءٍ فِي الدَّهْرِ مُغْرِبِ | أَخْوِثَقَةِ يَسْقِيكَ صَافِي وَدَّهِ |
| ٦ بِنَفْسِكَ صَادِمٍ كُلَّ أَمْرٍ تُرِيدُهُ | فَلَيْسَ مَضَاءُ السَّيْفِ إِلَّا بِحَدِّهِ |
| ٧ وَعَزَمَكَ جَرْدُ عِنْدِ كُلِّ مُهِمَّةٍ | فَمَا نَافَعَ مَكْتُهُ الْحَسَامِ بِغِمْدِهِ |
| ٨ وَشَاهَدْتُ فِي الْأَسْفَارِ كُلِّ عَجِيبَةٍ | فَلَمْ أَرْ مَنْ نَالَ جِدًّا بِجِدِّهِ |
| ٩ فَكُنْ ذَا اقْتِصَادٍ فِي أُمُورِكَ كُلِّهَا | فَأَحْسِنْ أحوَالَ الْفَتَى حُسْنَ قَصْدِهِ |
| ١٠ وَمَا يُحَرِّمُ الْإِنْسَانُ رِزْقًا لِعَجْزِهِ | كَمَا لَا يَنَالُ الرِّزْقُ يَوْمًا بِلَدِّهِ |
| ١١ حُظُوظُ الْفَتَى مِنْ شَقْوَةٍ وَسَعَادَةٍ | جَرَتْ بِقَضَاءٍ لَا سَبِيلَ لِرَدِّهِ |

قال في ذم الفلاسفة :

- (من مخلع البسيط)
- | | |
|--|-------------------------------------|
| ١ قَدْ ثَبَّتَ الْقَيَّ فِي الْعِبَادِ | طَائِفَةُ الْكُؤُنِ وَالْفَسَادِ |
| ٢ يَلْعَنُهَا اللَّهُ حَيْثُ كَانَتْ | فَائَتْهَا آفَةُ الْعِبَادِ |
| ٣ دَهْرِيَّةٌ لَا يَرَوْنَ رُسُلًا | وَلَا يُقَرُّونَ بِالْمَعَادِ |
| ٤ يَعْتَقِدُونَ الْأُمُورَ دَوْرًا | وَالنَّاسَ كَالزَّرْعِ وَالْحَصَادِ |

(٢٠) نفع الطبيب ٢/٤٩٠ - ٤٩١ .

(٥) العناء : الداهية ، يضرب بها المثل .

(٢١) الذيل والتكملة ٥/٢/٦١١ .

(٤) المراد بالدور عند الفلاسفة توقف الشيء على ما يتوقف عليه ، ويسمى الدور المصرح

كما يتوقف أعلى ب وبالعكس أو بمراتب ويسمى الدور المضمحل كما يتوقف أ على ب و

ب على ج ، وج على أ ، التعريفات ٩٤ .

وكتب إلى أبي عبدالله الرصافي :
 (من الوافر)
 ١ إذا أزنى بحسن العهد بعدُ فودي يستزبد مع البعادِ
 ٢ ولو أني تساعدني الأمانى وقيتك بالطريف وبالتلادِ

(قافية الراء)

(٢٢)

وقال :
 (من المتقارب)
 ١ صُنِّ العَقْلَ عن لحظة في هوى فإنَّ البَصِيرَةَ طَوْعُ البَصَرِ
 ٢ وَغَضُّ الجَفُونِ على عِقَةٍ فإنَّ زَنَا العُيُونِ النَّظَرِ

(٢٣)

وقال :
 (من المتقارب)
 ١ خَلَعْتَ العِذارَ بشيبِ العِذارِ فما يُقْبَلُ اليومَ منك اعتذارُ
 ٢ وَقَالُوا المشيبُ وقارُ الفتى وهذا المشيبُ فأين الوقارُ
 ٣ جلا صُبْحُه عنكَ ليلَ الشَّبابِ فشمسُك مُؤذِنَةٌ باصفرارُ
 ٤ أراكَ صَحَبْتَ حياةَ الفُرودِ وَتَسَحَّبُ جَهْلًا ذُيُولَ اغترارُ
 ٥ أَلَسْتَ ترى كَدِرًا صَفْوَهَا وَنَجَمَكَ قد مَالَ يَبْغِي انكدارُ

(٢١) لمح السحر ٥٦ ب .

(٢٢) رحلة العبدري : ٧٠ ، الحلل السنسية ٢٦٤/١/١ .

(٢) عجز البيت فيه اقتباس من الحديث الشريف : « إن الله كتب على ابن آدم حظاً من الزنا أدرك لا محالة فزنا العينين النظر .. » سنن أبي داود ٤٩٦/١ .

(٢٣) عقود الجمان ٦٥/٦ .

(٣) أول عجز البيت في الأصل « فتمسك » وهو تحريف ما أثبتناه .

- ٦ وكيف تنام على غيرة
٧ فلو كنت تحذر صرف الردى
٨ عبرت مراحل عمر الأشد
٩ وجرت بها عن طريق الهدى
١٠ أذاك الرحيل فشمرك له
١١ وكيف تقرأ بدنياك عينا
وسيف المنية ماضي الغرار
إذن لنفى النوم عنك الحذار
ولست أرى لك فيها اعتبار
صلاة وتعدو على أن تجار
فأما إلى جنة أو النار
ولم تدبر أين يكون القرار

(٢٤)

وكان من أهل المروءات في حقوق الإخوان ، وفي ذلك يقول: (من الرمل)

- ١ يحسب الناس بأنني متعب
٢ والذي يتعبهم من ذاك لي
٣ ويردني لو أقضي العمر
في الشفاعات وتكليف الورد
راحة في غيرها لن أفكر
في خدمة الطلاب حتى في الكرى

(٢٥)

ومن وصاياه النافعة وآدابه الجامعة قوله (*) :

- ١ من الله فاسأل كل شيء تريده فما يملك الإنسان نفعا ولا ضرا

(٢٤) نفع الطيب ٤٨٨/٢ .

(٣) خفت « أفكر » لضرورة الوزن .

(٢٥) رحلة العبدري : ٧٠ الذيل والتكملة ٦١٣/٢/٥ ، نيل الابتهاج ٢٣٥ ، نفع الطيب

٤٩١/٢ - ٤٩٢ ، الحلل السندية ٢٦٨/١/١ .

(*) قال العبدري ص ٧١ : « ونهيه عن التواضع للولاة حكم شرعي ، قال ﷺ من تواضع

لغني ذهب ثلثا دينه . » وأرى هذا الحديث مبنياً على الحديث الآخر وهو قوله ﷺ :

« ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن

يحب المرء لا يحبه إلا الله ، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما

يكره أن يقذف في النار . »

(١) العبدري ونيل الابتهاج : « كل أمر » .

٢ ولا تتواضع للولادة فإنهم من الكبر في حال تموج بهم سكرًا
 ٣ وإياك أن ترضى بتقبيل راحة فقد قيل فيها إنها السجدة الصغرى
 (٢٦)

قال في حب النبي ﷺ وآل بيته : (من الطويل)
 ١ أحب النبي المصطفى وابن عمه علياً وسبطيه وفاطمة الزهراء
 ٢ هم أهل بيت أذهب الرجس عنهم وأطلعهم أفق الهدى أنجماً زهراً
 ٣ موالاتهم فرض على كل مسلم وبهم أسنى الذخائر للأخري
 ٤ وما أنا للصحب الكرام ببغض فإني أرى البغضاء في حقهم كفرًا
 ٥ هم جاهدوا في الله حق جهاده وهم نصرنا دين الهدى بالطبي نصرًا
 ٦ عليهم سلام الله ما دام ذكرهم لدى الملأ الأعلى وأكرم به ذكرا

(٢٧)

قال ، وقد تذكر طيبة على ساكنها الصلاة والسلام : (من المجتث)

١ يا أهل طيبة قلبي عن منهج الصبر جارا
 ٢ أشكو إليكم زماناً علي بالبين جارا
 ٣ وبعدكم لست أرضى من البرية جارا
 ٤ ودمع عيني عليكم لأدمع المزن جاري

(٢) نيل الابتهاج : « موج » .

(٣) النفع : « قبل عنها » .

(٢٦) الذيل والتكملة ٦١٦/٢/٥ .

(٢) في صدر البيت اقتباس من قوله تعالى : ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت .. ﴾ الأعراب : ٣٣ .

(٥) الظبي ، جمع ظبية وهي حد السيف أو السنان . وفي صدر البيت اقتباس من

القرآن الكريم ، الحج ٧٨ .

(٢٧) الذيل والتكملة ٦١٥/٢/٥ .

(١) جار في البيت الأول بمعنى سقط وتهدم ، وفي الثاني بمعنى ظلم وتجاوز ، وفي الثالث

من الجيرة والجيران ، وفي الرابع من المجارة بمعنى المراجعة .

وقال وقد شارف المدينة المكرمة على ساكنها الصلاة والسلام: (*) (من المتقارب)

- ١ أقول وأنستُ بالليل نارا لعل سراج الهدى قد أنارا
- ٢ وإلا فما بال أفق الدجى كأن سنا البرق فيه استطارا
- ٣ ونحن من الليل في حندس فما باله قد تجلى نهارا
- ٤ وهذا النسيم شذا المسك قد أعير ، أم المسك منه استعارا
- ٥ وكانت رواحنا تشتكي وجهاً فقد سابتنا ابتدارا
- ٦ وكُنّا شكونا عناء السرى فعُدنا نباري سراع المهاري
- ٧ أظن النفوس قد استشعرت بلوغ هوى تخذته شعارا
- ٨ بشأن صبح السرى آذنت بأن الحبيب تدانى مزارا
- ٩ جرى ذكر طيبة ما بيننا فلا قلب في الركب إلا وطارا
- ١٠ خيناً إلى أحمد المصطفى وشوقاً يهيج الضلوع استعارا
- ١١ ولاح لنا أحمد مشرقاً بنور من الشهداء استنارا
- ١٢ فمن أجل ذلك ظل الدجى يحل عقود النجوم انتشارا
- ١٣ ومن ذلك الترب طاب النسيم نشرأ وعم الجناب انتشارا
- ١٤ ومن طرب الركب حث الخطى إليها ، ونادى البدار البدارا

(٢٨) رحلة العبدري ٩٦ - ٩٨ ، الذيل والتكملة ٦٠٢/٢/٥ - ٦٠٣ ، الإحاطة ٢٣٥/٢ -

٢٣٦ عدا البيت ١٣ ، جنوة الاقتباس ٢٧٨/١ - ٢٧٩ ، نفع الطيب ٤٨٧/٢ » ١ - ٣ .

(*) ذكر العبدري أنه نظمها ارجحاً حين تراءت له المدينة ، وكان وصوله لها في ٣ المحرم سنة ٥٨٠ هـ ، انظر الرحلة ص ١٦٧ .

(١) في صدر البيت اقتباس من قوله تعالى : ﴿ اني آنست نارا ... ﴾ طه ١٠ .

(٥) العبدري « وجا فلقد » والوجه أن يشتكي البعير باطن خفه ، والوجاء : العدول الصغار ، والابتدار : الإسراع والمعالجة .

(٨) العبدري : « تبشير » .

(١٤) العبدري : « طرب الشرب » . والبدار كالمبادرة والابتدار ، والإسراع والاستباق .

(١٥) الإحاطة : « باكرم مجد » .

١٥	وَلَمَّا حَلَلْنَا فِنَاءَ الرَّسُولِ	نَزَلْنَا بِأَكْرَمِ خَلْقٍ جَوَارَا
١٦	وَحِينَ دَنَوْنَا لِفَرْضِ السَّلَامِ	قَصَرْنَا الْخُطَا وَلَزِمْنَا الْوَقَارَا
١٧	فَمَا نُرْسِلُ اللَّحْظَ إِلَّا اخْتِلَاسَا	وَلَا تَرْفَعُ الطَّرْفَ إِلَّا انكِسَارَا
١٨	وَلَا نُظْهِرُ الْوَجْدَ إِلَّا اِكْتِتَامَا	وَلَا نَلْفِظُ الْقَوْلَ إِلَّا سِرَارَا
١٩	سِوَى أَنَّا لَمْ نُطِيقْ أَعْيُنَا	بِأَدْمُعِهَا غَلَبَتْنَا انْفِجَارَا
٢٠	وَقَفْنَا بِرَوْضَتِهِ لِلْسَّلَامِ	نُعِيدُ السَّلَامَ عَلَيْهِ مِرَارَا
٢١	وَلَوْلَا مَهَابَتُهُ فِي النُّفُوسِ	لَثِمْنَا الثَّرَى وَالتَّزَمْنَا الْجِدَارَا
٢٢	قَضَيْنَا بِزَوْرَتِنَا حُجْنَا	وَبِالْعُمُرَيْنِ خْتَمْنَا اعْتِمَارَا
٢٣	إِلَيْكَ إِلَيْكَ نَبِيُّ الْهُدَى	رَكِبْتُ الْبَحَارَ وَجِبْتُ الْقِفَارَا
٢٤	وَفَارَقْتُ أَهْلِي وَلَا مَنَّةُ	وَرُبُّ كَلَامٍ يَجْرُ اعْتِذَارَا
٢٥	وَكَيْفَ نَمْنُ عَلَى مَنْ بِهِ	تُؤْمَلُ لِلْسَّيِّنَاتِ اغْتِفَارَا
٢٦	دَعَانِي إِلَيْكَ هَوَى كَامِنٌ	أَثَارَ مِنَ الشُّوقِ مَا قَدْ أَثَارَا
٢٧	فَنَادَيْتُ لَبَّيْكَ دَاعِي الْهَوَى	وَمَا كُنْتُ عَنْكَ أَطِيقُ اصْطِبَارَا
٢٨	وَوُطِّئْتُ نَفْسِي لِحُكْمِ الْهَوَى	عَلَيَّ وَقُلْتُ رَضِيتُ اخْتِبَارَا

-
- (١٧) الإحاطة : « ولا نرجع الطرف » .
(١٨) السرار والسرارة - بفتح السين - : السر ، وهو جوف كل شيء .
(٢٠) الإحاطة : « وقفنا بروضة دار السلام » .
(٢١) العبدري : « ولزمنا » .
(٢٢) العبدري : « بعمرتنا حجنا ، وبالعمرتين » وفيه تحريف . الإحاطة : « بزوته حجنا ، وبالعمرتين » ، وفيه تحريف أيضاً .
(٢٥) العبدري : « مِن » .
(٢٧) الإحاطة : « فناديتك لببك » ، وبها يكسر الوزن . العبدري : « وهل كنت » .
(٢٨) العبدري : « بحكم الهوى »

٢٩ أخوضُ الدُّجى وأروضُ السُّرى ولا أطعمُ النَّسومَ إلا غِراراً
 ٣٠ ولو كنتُ لا أستطيعُ السَّبيلَ لَطَرْتُ ولو لم أصادفَ مَطَاراً
 ٣١ وأجدرُ من نالَ منك الرِّضَا مُحِبُّ ذِرَاكَ على البُعْدِ زَاراً
 ٣٢ عَسَى لِحِظَةٍ منك لي في غدٍ تُمَهِّدُ لي في الجِنَانِ القَرَارَ
 ٣٣ فما ضَلَّ من يَهْدَاك اهْتَدَى ولا ذَلَّ من يَذْرَاكَ اسْتَجَارَا

(٢٩)

وقال ، وهو في زيارة قبره (عليه السلام) : (من المتقارب)

١ هَنِيئاً لمن حجَّ بيتَ الهُدَى وحَطَّ عن النَّفْسِ أوزَارَهَا
 ٢ وإنَّ السَّعَادَةَ مضمونَةٌ لمن حَلَّ طيبةً أو زارَهَا

(٢٩) العبدري : « نظم » .

(٣٠) العبدري : سقطت « لطرت » وفيه « ولما أصادف » .

(٣١) العبدري : « نحب ثواك » ، وهو تحريف . الإحاطة : « محب سراك » .

(٣٢) الإحاطة : « من بمسراك اعتدى » ، واستجار : طلب المعونة ودفع الظلم .

(٢٩) الذيل والتكملة ٦٠٤/٢/٥ ، الإحاطة ٢٣٦/٢ - ٢٣٧ ، جذوة الاقتباس ٢٨٠/١ ، نفع

الطيب ٤٩٣/٢ . قال شكيب أرسلان في الحلل السندسية ١٢٠/٣ : « هذا الجناس المركب

قد ورد أيضاً في شعر آخر ، فقد قيل في قبر محبي الدين بن عربي في صالحية الشام :

قَبْرُ مُحِبِّي الدِّينِ بنِ عَرَبِي كُلُّ مَنْ لاذَ بِهِ أو زارَه

قُضِيَ حَاجَاتُهُ مِنْ بَعْدِهَا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ أو زارَه

(٢) الإحاطة والنفع : « حج طيبة » .

(٣٠)

وقال في الولاة وأحوالهم : (من السريع)

- ١ من كُبرت عن قدره خُطئة
 - ٢ ومن سَمَتْ هِمَّتَه لم يَكُنْ
 - ٣ ولايئة الإنسان سَكْرٌ قَما
 - ٤ مغايظ الدنيا وأربابها
 - ٥ دعهم مع الدهر وأحداثه
- داخله من أجلها الكبرُ
لخُطئة في نفسه قَدْرُ
دامت له دام به السُكْرُ
ليسَ عليها لامرئٍ صَبْرُ
حتى ترى ما يصنع الدهرُ

(٣١)

وقال في الشكوى من الدهر : (من مجزوء الوافر)

- ١ أما في الدهر معتَبِرُ
 - ٢ فسَلَنِي عَنْ تَقْلِبِهِ
 - ٣ صَحْبِنَاهُ إِلَى أَجَلٍ
 - ٤ فَيَا عَجَبًا لِمُتَحَلِّلٍ
- ففيه الصَّفْو والغَدْرُ
فَعِنْدَ جُهَيْنَةِ الْخَبَرِ
نُراقِبُهُ وَنَحْتَدِرُ
ولا يدري متى السُّفَرُ

(٣٠) الذيل والتكملة : ٦١٣/٢/٥ .

(٤) الغيظ : الغضب ، أو أشده ، أو سورته ، والمغايظ : ما يدعو الرجل للغيظ .

(٣١) رحلة المهدي ٩٨ .

(٢) في عجز البيت تضمين من المثل المشهور : « وعند جهينة الخمر البقين » مجمع الأمثال

. ٣/٢

(٣٢)

وقال يخاطب الرصافي البلنسي : (من الطويل)
١ بَعَزْ عَلَيْنَا أَنْ يُقْصِرَ بِالْعُلَا زَمَانٌ وَمَا زَالَ الزَّمَانُ يُقْصِرُ
٢ عَجِبْتُ لِدَهْرِ غَضٍّ مِنْكَ شَفَاهَةٌ لَقَدْ غَضَّ مِنْ طَرَفٍ بِهِ كَانَ يَنْظُرُ

(٣٣)

وقال في ذم الفلاسفة : (من السريع)
١ قَدْ ظَهَرَتْ فِي عَصْرِنَا فِرْقَةٌ ظَهَرُوا شَوْمٌ عَلَى الْعَصْرِ
٢ لَا تَقْتَدِي فِي الدِّينِ إِلَّا بِمَا سَنَّ ابْنُ سَيْنَا وَأَبُو نَصْرِ

(٣٤)

وقال في النقد الاجتماعي وذم الزمان : (من المديد)
١ رَبُّ إِنْ لَمْ تَوْتِنِي سَعَةً فَاطِمٌ عَنِّي فَضْلَةُ الْعُمَرِ
٢ لَا أَحَبُّ اللَّبَثِ فِي زَمَنِ حَاجَتِي فِيهِ إِلَى الْبَشْرِ
٣ فَهُمْ كَسَرُوا لِمَنْجَبِرٍ مَا هُمْ جَبْرٌ لِمَنْكَسِرٍ

(٣٢) السحر والشعر ٣٩٨ « باب الحكم والجد » ، ملح السحر ٥٥ أ .

(٣٣) نفع الطيب ٣٨٥/٢ .

(٢) يريد الفيلسوفين المشهورين ، ابن سينا وأبا نصر الفارابي .

(٣٤) نفع الطيب ٤٩٢/٢ .

قال في الصوت الحسن وسماعه : (من الطويل)

- ١ زيادة حسن الصوت في الخلق زينة
 - ٢ ومن لم يحركه السَّماع بطيبة
 - ٣ تُصيحُ إلى الحادي الجمالُ لَواعِباً
 - ٤ ولله في الأرواح عند ارتياحها
 - ٥ وكل امرئ عاب السَّماع فإنه
 - ٦ وأهل الحجا أهل الحجاز وكلهم
 - ٧ وهام به أهل التصوف رغبة
 - ٨ فإن رسول الله قد قال زِنُوا
 - ٩ وزانت لداود النبي زوره
 - ١٠ وفي الخلد إسرائيل يُسمعُ أهله
 - ١١ فإن أك مغرى بالسَّماع وحسنه
- يروقُ بها لحنُ القريضِ المحبِّرِ
فذلك أعمى القلب أعمى التَّصورِ
فتوضع في بیدائها غيرَ حُسْرِ
إلى اللحن سرُّ للورى غيرُ مُظهِرِ
من الجهل في عشوائه غير مبصر
رأوه مُباحاً عندهم غير منكر
لتهيج شوق ناره لم تُسْعِرِ
بأصواتكم آي الكتاب المطهرِ
مزامره بالنوح في كل محضَرِ
فيسليهم المسموع عن كل منظرِ
فحسبي اقتداءً بالكریم ابن جعفرِ

(٣٦)

وقال : (من الوافر)

- ١ أراك من الحياة على اغترار
 - ٢ وتطمع في البقاء وكيف تبقى ؟
- وما لك بالإتابة من بدار
وما الدنيا لساكنها بدار

(٣٥) الذيل والتكملة ٦١٥/٢/٥ - ٦١٦ .

(١١) الأبيات تشير إلى مذهب ابن جبیر في إباحة الغناء وبعض حججه في ذلك إباحة أهل الحجاز له ، وابن جعفر هو عبدالله بن جعفر بن أبي طالب أول من ولد من المسلمين بأرض الحبشة عاش في البصرة والكوفة والشام سمي ببحر الجود لكرمه واتصل به الشاعر ابن قيس الرقيات وانتقطع له وكان عبدالله يصله ولا يقضي عنه دينه ، ولم ير بسماع الغناء بأساً ، واجتمع عنده عدد من المغنين منهم : طويس وسائب ونشيط وديج .. انظر قوافي الوفيات ١٧٠/١ تاريخ الموسيقى العربية (فارمر) ٦٢-٦٩ ، وأخباره في الأغاني والعقد الفريد والكمال .

(٣٦) عقود الجمان ٦٤/٦ .

(١) البدار- بكسر الباء : المعالجة والاستباق .

(٣٧)

قال يكشف عن خلقه الكريم :

- ١ وإنني لأؤثرُ من أصطفي وأغضي على زلة العائِرِ
٢ وأهوى الزبارة ممن أحب لأعتقد الفضلَ للزائرِ

(٣٨)

وقال يمدح صلاح الدين الأيوبي (*) :

- ١ أطلت على أفك الزاهرِ سَعَوْدُ من الفلكِ الدائرِ
٢ فأبشرف إن رقابَ العدا تَمَدَّ إلى سيفكِ الباتِرِ
٣ وعما قليلٍ يحلُّ الرُدى بكندهم الناكثِ الغادرِ
٤ وخصبُ الورى يومَ تسقي الثرى سحائبُ من دَمِها الهامرِ
٥ فكم لك من فتكةٍ فيهمُ حَكَّتْ فتكةُ الأسدِ الخادرِ

(٣٧) إفادة النصيح ١٠٨ ، نفع الطيب ٩٠/٢ ، علق ابن رشيد السبتي في إفادة النصيح على البيت الأول فقال : كان الأخف أن يقول : وأغمض أو أصفح ، لثقل الضم في حرف العلة ، لأن رواية البيت عنده « وأغضي عن » ، وفيها خلل عروضي .

(٣٨) الروضتين ١٠٥/٢ - ١٠٦ ، ١ ، ٢ ، ٥ ، ٢٤ ، ٤/٢ - ٥ - ٢٥ - ٥٦ . رحلة العبدري : ٩٤ - ٩٦ ، ١ - ٢٥ - ٢٨ ، ٥٦ . الذيل والتكملة ٥٩٨/٢/٥ - ٦٠١ ، ١ - ٢٥ - ٢٨ - ٥٦ . نفع الطيب ٣٨٣/٢ ، ١ ، ٢٥ - ٢٨ .

(*) في البيتين ١٩ و ٢٠ إشارة إلى أن القصيدة نظمت بعد فتح بيت المقدس سنة ٥٨٣ هـ ، أي بعد رحلته الثانية سنة ٥٨٥ هـ حيث يتوجه إلى صلاح الدين مهنتاً ، وفيها إشارة إلى رفع صلاح الدين المكوس عن الحجاج الذاهبين إلى الحجاز ، أروخ ذلك أبو شامة المقدسي سنة ٥٧٢ هـ (الروضتين ٤/٢) ، وقد نال الحجاج أذى من رجال الأمن في الإسكندرية ، ولذلك يورد العبدري وأبو عبد الملك المراكشي القصيدة على أنها مما قاله في الإسكندرية (ذى الحجة ٥٧٨ هـ) . تنظر الرحلة ١٣ - ١٤ ، ومقدمة د. محمد مصطفى زيادة ، الرحلة ١٧ ، و« الرحالة المسلمون في القرون الوسطى ٧٤ » .

(٣) الكند - بضم فسكون فكسر - كلمة إسبانية (conde) أصلها في اللاتينية (comes) والتي عرفت كذلك عند عرب الأندلس بلفظة قومس وهو لقب شرف عند النصارى ورتبة لرؤساء الجيوش من الأمراء ، والكند اليوم في المراتب الشريفة يأتي بعد المركيز وقبل البارون (رحلة العبدري ٩٤ هامش ١) .

(٥) الروضتين : « وكم » .

- ٦ كَسَرَتْ صَلَيبَهُمْ عُنُودَهُ
٧ وَغَيَّرَتْ آثَارَهُمْ كُلَّهَا
٨ وَأَمْضَيْتَ جَدَّكَ فِي غَزْوِهِمْ
٩ فَأَدْبَرَ مَلِكُهُمْ بِالشَّامِ
١٠ جَنُودُكَ بِالرُّعْبِ مَنْصُورَةٌ
١١ فَكُلَّهُمْ غَارِقٌ هَالِكٌ
١٢ ثَارَتْ لَدَيْنِ الْهُدَى فِي الْعِدَا
١٣ وَقَمَتْ بِنَصْرِ إِلِهِ السَّوْرِ
١٤ وَجَاهَدَتْ مُجْتَهِدًا صَابِرًا
١٥ تَبَيَّتُ الْمُلُوكُ عَلَى قَرْشِهَا
١٦ وَتَوَثَّرُ جَاهِدَ عَيْشِ الْجِهَادِ
١٧ وَتُسَهَّرُ جَفْنُكَ فِي حَقٍّ مِنْ
١٨ فَتَحَتِ الْمَقْدُسَ مِنْ أَرْضِهِ
١٩ وَجُبَّتْ إِلَى قُدْسِهِ الْمُرْتَضَى
٢٠ وَأَعْلَيْتَ فِيهِ مَنَارَ الْهُدَى
٢١ لَكُمْ ذَخْرُ اللَّهِ هَذَا الْفَتْوحَ
٢٢ وَخَصَّكَ مِنْ بَعْدِ مَا زَرْتَهُ
- فَلَلَهُ دَرْكٌ مِنْ كَاسِرٍ
فَلَيْسَ لَهَا الدَّهْرُ مِنْ جَابِرٍ
فَتَعَسَا لَجْدُهُمُ الْعَاثِرِ
وَوَلَّى كَأَمْسِهِمُ الدَّاهِرِ
فَنَاجِزٌ مَتَى شِئْتَ أَوْ صَابِرِ
بَتِيَارٍ عَسْكَرِكَ الزَّاهِرِ
فَأَثَرِكَ اللَّهُ مِنْ ثَائِرِ
فَسَمَّاكَ بِالْمَلِكِ النَّاصِرِ
فَلَلَهُ دَرْكٌ مِنْ صَابِرِ
وَتَرَفَّلُ فِي الزُّرْدِ السَّابِرِ
عَلَى طِيبِ عَيْشِهِمُ النَّاضِرِ
سَيَرَضِيكَ فِي جَفْنِكَ السَّاهِرِ
فَعَادَتْ إِلَى وَصْفِهَا الطَّاهِرِ
فَخَلَصْتَهُ مِنْ يَدِ الْكَافِرِ
وَأَحْيَيْتَ مِنْ رَسْمِهِ الدَّائِرِ
مِنَ الزُّمَنِ الْأَوَّلِ الْغَابِرِ
بِهَا لَاصِطِنَاعُكَ فِي الْآخِرِ

(٩) الروضتين : « وأدبر » .

(١٠) العبدري : « فَنَاجِزٌ » ، وهو تصحيف ، والمناجزة : المقاتلة . وفي صدر البيت اقتباس من الحديث الشريف ونصه : « فضلت على الأنبياء بست : أعطيت جوامع الكلم ونُصرت بالرُّعْبِ وأُحلت لي الغنائم وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً وأرسلت إلى الخلق كافة وختم بي النبيون » صحيح مسلم ٣٧١/١ .

(١١) الروضتين والذيل : « غرق » .

(١٤) الروضتين : « فلله أجرك » .

(١٥) الذيل : « السابر » .

٢٣	مَحَبَّتِكُمْ أَلْقَيْتُ فِي النَّفُوسِ	بذَكَرٍ لَكُمْ فِي الْوَرَى طَائِرٍ
٢٤	فَكَمْ عِنْدَ ذِكْرِ الْمُلُوكِ لَهُمْ	بِمِثْلِكَ مِنْ مَثَلِ سَائِرِ
٢٥	رَفَعْتَ مَغَارِمَ أَهْلِ الْحِجَازِ	بِإِنْعَامِكَ الشَّامِلِ الْهَامِرِ
٢٦	وَأَمَنْتَ أَكْنَافَ تِلْكَ الْبِلَادِ	فَهَانَ السَّبِيلُ عَلَى الْعَابِرِ
٢٧	وَسَحَبْتُ أَيَادِيكَ فَيَاضَةً	عَلَى وَارِدٍ وَعَلَى صَادِرِ
٢٨	فَكَمْ لَكَ بِالْشَرْقِ مِنْ حَامِدٍ	وَكَمْ لَكَ بِالْغَرْبِ مِنْ شَاكِرِ
٢٩	وَكَمْ بِالْإِعْهَاءِ لَكُمْ كُلِّ عَامٍ	بِمَكَّةَ مِنْ مُعْلِنِ جَاهِرِ
٣٠	وَكَمْ بَقِيَتْ حَسْبَةٌ فِي الظُّلُومِ	وَتِلْكَ الذُّخَيْرَةُ لِلذَّاخِرِ
٣١	يَعْتَفُ حِجَاجَ بَيْتِ الْإِلَهِ	وَيَسْطُرُ بِهِمْ سَطْرَةَ الْجَائِرِ
٣٢	وَيَكْشِفُ عَمَّا بِأَيْدِيهِمْ	وَنَاهِيكَ عَنْ مَوْقِفِ صَاغِرِ
٣٣	وَقَدْ أَوْقَفُوا بَعْدَمَا كُوشِفُوا	كَأَنَّهُمْ فِي يَدِ الْآسِرِ
٣٤	وَيُلْزِمُهُمْ حَلْفًا بَاطِلًا	وَعُقْبَى الْيَمِينِ عَلَى الْفَاجِرِ
٣٥	وَإِنْ عَرَضْتَ بَيْنَهُمْ حُرْمَةً	فَلَيْسَ لَهَا عَنْهُ مِنْ سَاتِرِ
٣٦	أَلَيْسَ يَخَافُ غَدًا عَرَضَهُ	عَلَى الْمَلِكِ الْقَادِرِ الْقَاهِرِ
٣٧	وَلَيْسَ عَلَى حُرْمِ الْمُسْلِمِينَ	بِتِلْكَ الْمَشَاهِدِ مِنْ غَائِرِ
٣٨	وَلَا حَاضِرٍ نَافِعٍ زَجْرُهُ	فِيَا ذِلَّةَ الْحَاضِرِ الزَّاجِرِ
٣٩	أَلَا نَاصِحٌ مَبْلُغٌ نَصَحَهُ	إِلَى الْمَلِكِ النَّاصِرِ الظَّافِرِ
٤٠	ظُلُومٍ تَضْمَنُ مَالَ الزَّكَاةِ	لَقَدْ تَعَسَتْ صَفْقَةُ الْخَاسِرِ

(٢٤) الذيل : « فكم لهم عند ذكر الملوك » ، الروضتين : « لملك » .

(٢٥) الروضتين والنفع : « مكس الحجاز » .

(٣٠) الروضتين : « وقد بقيت .. في فلان » .

(٣٣) الذيل « وقفوا » ، الروضتين : « وقفوا بعدما كوشفوا » .

(٣٧) الروضتين : « أليس ... من غابر » .

(٣٨) الروضتين : « ألا فيا ذلة الشاهد الحاضر » .

- ٤١ يُسِرَّ الخِيَانَةَ فِي بَاطِنِ
٤٢ فَأَوْقَعَ بِهِ حَادِثًا أَنَّهُ
٤٣ فَمَا لِلْمَنَاقِرِ مِنْ زَاجِرٍ
٤٤ وَحَاشَاكَ إِنْ لَمْ تُزَلِّ رَسْمَهَا
٤٥ وَرَفَعَكَ أَمْثَالَهَا مُوسِعٍ
٤٦ وَأَثَارُكَ الْغَرَّ تَبْقَى بِهَا
٤٧ نَذَرْتُ النَّصِيحَةَ فِي حَقِّكَ
٤٨ وَحُبُّكَ أَنْطَقَنِي بِالْقَرِيبِ
٤٩ وَلَا كَانَ فِي مَا مَضَى مَكْسَبِي
٥٠ إِذَا الشُّعْرُ صَارَ شِعَارَ الْفَتَى
٥١ وَإِنْ كَانَ نَظْمِي لَهُ نَادِرًا
٥٢ وَلَكِنَّهَا خَطَرَاتُ الْهَوَى
٥٣ وَأَمَّا وَقَدْ زَارَ تِلْكَ الْعَلَا
٥٤ وَإِنْ كَانَ مِنْكَ قَبُولٌ لَهُ
٥٥ وَيَكْفِيهِ سَمْعُكَ مِنْ سَامِعٍ
٥٦ وَيُزْهِى عَلَى الرُّوضِ غَبُّ الْحَيَا
- وَيُبْدِي النَّصِيحَةَ فِي الظَّاهِرِ
يَقْبَحُ أَحْدُوثةَ الذَّاكِرِ
سَوَاكَ وَبِالْعَرَفِ مِنْ أَمْرِ
فَمَا بِالِكَ فِي النَّاسِ مِنْ غَادِرٍ
رَدَاءَ فَخَارِكَ لِلنَّاشِرِ
وَتِلْكَ الْمَآثِرُ لِلْأَثَرِ
وَحَقُّ الْوَفَاءِ عَلَى النَّاذِرِ
وَمَا أَهْتَفِي صِلَةَ الشَّاعِرِ
وَبِنَسِ الْبِضَاعَةِ لِلتَّاجِرِ
فَنَاهِيكَ مِنْ لَقَبِ شَاهِرٍ
فَقَدْ قِيلَ : لَا حَكَمَ لِلنَّادِرِ
تَعِنُ فَتَلْعَبُ بِالْخَاطِرِ
فَقَدْ فَازَ بِالشَّرَفِ الْبَاهِرِ
فَتِلْكَ الْكَرَامَةُ لِلزَّائِرِ
وَيَكْفِيهِ لِحْظُكَ مِنْ نَاطِرِ
بِمَا حَازَ مِنْ ذِكْرِكَ الْعَاطِرِ

(٤١) الذيل : « في ظاهر » .
(٤٣) الروضتين : « فما للمناكير » .
(٤٤) الروضتين : « فمالك » .
(٥٢) الذيل : « تمن فتغلب للخاطر » .
(٥٥) العبدري : سقطت « سمعك » ، وأول العجز « ويكفيك لحظك » .

(قافية السين)

(٣٩)

وقال في المتكبر: (من الخفيف)
١ أيُّها المُستطيلُ بالْبغي أقصر رُبما طَاطأَ الزُّمانُ الرُّؤسا
٢ وتذكَّرْ قولَ الإلهِ تعالى : ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى﴾

(٤٠)

قال في حبيبه وقد جلس بين ثقلين : (من الكامل)
١ لو كنتَ تبصر منذ يومٍ قد نأى تيسين ضمَّهما وظيفاً مجلسُ
٢ لعجبتَ قُبْحاً مِنْهُما ومَلاحَـة منه وقلتَ حظيرة أم مِكنَسُ؟

(٤١)

وقال وقد لاحت له جبال دانية على ظهر البحر وهو قافل من رحلته الأولى
سنة ٥٨١ هـ :

١ لي نحو أرض المنى من شرقِ أندلسِ شوق يُولفُ بين الماءِ والقبسِ
٢ لاحت لنا من ذُرَها الشَّمُ شاهقة تُدني لزهر الدَّراري كَفُ ملتَمِسِ

(٣٩) رحلة العبدري ٧١ ، نفح الطيب ٤٩٢/٢ وانظر هامش (١) حيث يذكر المحقق أن بعض نسخ النفع تنسبها له . الخلل السندسية ٢٦٩/١/١ .
(١) في العجز اقتباس من القرآن الكريم سورة القصص ٧٧ .
(٤٠) زاد المسافر ١١٤ .

(١) التيس : الذكر في المعز .

(٢) المكنس : موضع الظبي في الشجر يكتن فيه ويستتر .

(٤١) الذيل والتكملة ٦٠٤/٢/٥ - ٦٠٥ » ١ - ١١ ، نفح الطيب ٤٨٩/٢ » ١ ، لمح السحر ورقة ٤٠ أ » ٨ - ١١ .
(١) القبس : شعلة من النار .

- ٣ وقد أغذت بنا في اليمّ جارئة
 ٤ كأنها وعبابُ الماء يزعجها
 ٥ كأن بيض نواحيها إذا انتشرت
 ٦ تنازعُ الرّيحُ منها صعبَ مقودها
 ٧ لولا حذاري أن أذكى لها لهبا
 ٨ يا ليت شعري والآمالُ معوزة
 ٩ هل يدنون مزارُ الشوق إن به
 ١٠ وهل تعودن أيامَ رشفتُ بها
 ١١ حيث انبسطنا مع اللذات تنقلنا
- سوداءُ لا تستطيعُ الجري في يَبَسِ
 تنصّ جيدَ مراعي اللحظِ مختلسِ
 لواءُ صُبح بدا في سدفة الغلسِ
 فترقي بعنانٍ مُسمحِ سَلَسِ
 زجيتها بريحِ الشوق في نفسِ
 وربما أمكنت يوماً لمختلسِ
 ما شئتَ من نُهزٍ للأنس أو خلّسِ
 سِلافةُ العيش أحلى من جنّى اللّسِ
 أبدي المسراتِ من عيد إلى عرسِ

(قافية العين)

(٤٢)

وقال يخاطب أبا عمران الزاهر (*) بإشبيلية : (من الوافر)

- ١ أبا عمرانَ قد خلّفتُ قلبي لديك وأنت أهلٌ للوديعه
 ٢ صحبتُ بك الزّمانَ أخا وفاءٍ فيها هو قد تنمر للقطيعه

(٥) السدفة : الظلمة ، وهي من الأضداد . والغلس : ظلمة آخر الليل .

(٧) زجى وأزجى بمعنى ساق ودفع .

(٩) اللّمع : « مزار الشرف » .

(١٠) السلاف : ما سال من عصير العنب قبل أن يعصر والخمر وسلافة كل شيء عصرته

وأوله ، واللّمس : لون الشفة تضرب إلى السواد ، وهو يستلمح .

(١١) اللّمع : « مع الأيام » .

(٤٢) نفع الطيب ٤٨٧/٢ - ٤٨٨ .

(*) أبو عمران موسى بن عمران المارثلي ، و(مارثلة) من حصون باجة ، كان ورعاً

زاهداً عابداً له حظ وافر في شعر الزهد ، لازم مسجده بإشبيلية سنة ٦٠٤ هـ

(التكملة ٧٥٤/٢ المغرب ٤٠٦/١ ، الغصون البانعة ١٣٥) .

(٤٣)

قال يهجو الدهريين : (من مخلص البسيط)

- ١ ضلّت بأفعالها الشنيعة طائفة عن هدى الشريعة
٢ ليست ترى فاعلاً حكيماً يفعل شيئاً سوى الطبيعة

(٤٤)

وقال في الزهد : (من البسيط)

- ١ عجبت للمرء في دنياه تطيعه في العيش والأجل المحتوم يقطع
٢ يُمسي ويصبح في عشاء يخطها أعمى البصيرة والآمال تزرعه
٣ يغتر بالدهر مسروراً بصحبته وقد تيقن أن الدهر يصرعه
٤ ويجمع المال حرصاً لا يفارقه وقد درى أنه للغير يجمعه
٥ تراه يشفق من تضییع درهمه وليس يشفق من دين يضيعه
٦ وأسوأ الناس تدبيراً لعاقبة من أنفق العمر فيما ليس ينفعه

(٤٥)

وقال وهو يودع أهله : (من الطويل)

- ١ أقول وقد حان الوداع وأسلمت قلوباً إلى حكم الأسى ومدامع
٢ أيا رب أهلي في يدك وديعة وما عدت صوناً لديك الودائع

(٤٣) نفع الطيب ٣٨٥/٢ .

(٤٤) نفع الطيب ٤٩٠/٢ .

(٤٥) نفع الطيب ٤٨٥/٢ .

(٤٦)

وقال يهجو ابن رشد (*) : (من السريع)

- ١ الحمد لله على نصره لفرقة الحق وأشباعه
- ٢ كان ابن رشد في مدى غيبه قد وضع الدين بأوضاعه
- ٣ حتى إذا أوضع في طريقه توى لغبي عند إضاعه
- ٤ فالحمد لله على أخذه وأخذ من كان من أتباعه

(قافية الغاء)

(٤٧)

وقال في نكبة ابن رشد : (من مخلع البسيط)

- ١ الآن قد أيقن ابن رشد أن تواليفه توالف
- ٢ يا ظالماً نفسه : تأمل هل تجد اليوم من يوالف؟

(٤٨)

كتب رسالة إلى ابن حمويه (*) من الإسكندرية متشوقاً ، شافعاً صدرها

(٤٦) الذيل والتكملة ٣٠/٦ .

(*) تقدمت ترجمة ابن رشد ، انظر هامش ق ١٢ .

(٢) وضع الرجل في تجارته : صار وضيعاً ، ووضع عنه : حط من قدره .

(٣) أوضع بين القوم : أفسد . الوضع ضرب من سير الإبل دون الشدة ، ووضع البعير إذا عدا ، والإيضاع سير مثل الحبيب ، يقال : « قد أوضعت منذ ساعة » يضرب لمن يستبطئ قضاء حاجته ولم تبطؤ بعد . التوى - مقصور - : الهلاك وهلاك المال .

(٤٧) الذيل والتكملة ٣٠/٦ .

(٤٨) عقود الجمان ٦٧/٦ .

(*) تنظر ترجمته في هامش ق ١٩ .

بهذه الأبيات :

(من الطويل)

- ١ سلامٌ كأزهارِ الربيعِ نَضَارَةٌ وحُسناً على شيخِ الشيوخِ الذي صَفَا
- ٢ ولو لم يَعْنِنِي العُذْرُ عن قَصْدِ رِبعِهِ سَعَيْتُ كما يَسْعَى المَلْبِي إلى الصَّفَا
- ٣ ولكن عَدَانِي عنه دَهْرٌ مَكْدَرٌ ومن ذا الذي وَاثَاهُ في دَهْرِهِ الصَّفَا

(٤٩)

وقال يهجو الفلاسفة :

(من السريع)

- ١ يا وحشةَ الإسلامِ من فِرْقَةٍ شَاغِلَةٌ أَنْفُسَهَا بالسُّفَةِ
- ٢ قد نَبَذَتْ دِينَ الْهُدَى خَلْفَهَا وَاذْعَتِ الْحِكْمَةَ وَالْفَلَسَفَةَ

(٥٠)

وقال يصف القلم من قصيدة :

(من الكامل)

- ١ قلم به الإقليمُ أصبح في حمى بِشَبَاتِهِ صَرَفُ الْحَوَادِثِ يُصَرِّفُ
- ٢ ولئن تَقَاصَرَ قَدَهُ فَلِقَدَهُ ظَلَّتْ لَهُ الْأَسْلُ الطُّوَالُ تَقْصُفُ
- ٣ هل تَغْنِيَنَّ الْمَرْهَفَاتُ غِنَاءَهُ وَصَلِيلُهَا لَصِيرُهُ يُسْتَضَعُفُ
- ٤ حَكَّتِ الطُّبَا وَالسَّمَرُ فَعَلَا مِنْهُ لَوَ لَاهُ لِعُطْلٍ صَارُمٌ وَمُثَقَّفُ
- ٥ طَعَنُ كَمَثَلِ النُّقْطِ مَنْضَافُ إِلَى ضَرْبٍ كَمَا شَكِلَتْ بِنَقْطٍ أَحْرَفُ
- ٦ كُلُّ يَتِيهِ بِأَنْ حَوَى شِبْهًا لَهُ فَاَنْظُرْ إِلَى الْمُحَكَّمِيِّ فَهُوَ الْأَشْرَفُ
- ٧ يَكْفِيهِ فَخْرًا أَنْ كُلُّ مُقَدَّرٍ يَجْرِي بِمَا قَدْ خُطَّه وَيَصْرَفُ

(٤٩) نفع الطيب ٢/٣٨٥ .

(٥٠) الذيل والتكملة ٥/٢/٦١٠ .

(١) شبهة كل شيء حد طرفه .

(قافية القاف)

(٥١)

- قال يمدح المنصور ويعرض بآبن رشد :
- ١ خليفة الله أنتَ حقاً (من مخلع البسيط)
- ٢ حميتُم الدِّينَ من عِداه فارقَ من السُّعدِ خيرَ مَرَقِي
- ٣ أطلعكَ الله سرَّ قوم وكلُّ من رامَ فيه فَتَقَا
- ٤ تَفَلَّسُوا وادَّعُوا علوماً شَقُّوا العَصَا بالنِّفاقِ شَقَا
- ٥ واحتَقَرُوا الشَّرْعَ وازدَرَوْهُ صَاحِبُهَا فِي المَعَادِ يَشْقَى
- ٦ أوسَعَتْهُم لَعْنَةُ وَخْزِيَا سِفَاهُهُ مِنْهُمْ وَحُمَقَا
- ٧ فابْقَ لِدِينِ الإِلَهِ كَهْفَا وَقُلْتَ : بُعْدًا لَهُم وَسُحْقَا
- فإنه ما بَقِيَتْ يَبْقَى

(٥٢)

- وقال في الحكمة :
- ١ عَلَيْكَ بِكُتْمَانِ المَصَانِبِ واصْطَبِرْ (من الطويل)
- ٢ كَفَاكَ مِنَ الشُّكُوى إِلَى النَّاسِ أَنَّهَا عَلَيْهَا فَمَا أَبْقَى الزَّمَانُ شَفِيقَا
- تَسْرُ عَدُوًّا أَوْ تَسُوْءَ صَدِيقَا

(٥١) الذيل والتكملة ٣١/٦ .

(٥٢) الذيل والتكملة ٦١٢/٥ - ٦١٣ ، الإحاطة ٢٣٧/٢ ، جنة الرضا ٢٢٢/١ ، جنوة

الاعتباس ١/٢٨٠ » ١-٢ «

(٢) الإحاطة « كفاك بالشكوى » ، وبها يكسر البيت ، وفيها : « أو تسيء » ، الجنوة :

« كفى بك بالشكوى » . الذيل : « أنه تسر » .. وفي جنة الرضا « أنه يسر .. أو

يسوء »

(٥٣)

وقال يهجو الفلاسفة : (من الكامل)

- ١ نفذَ القضاءُ بأخسِ مموءٍ متفلسفٍ في دينه مترنِّدٍ
٢ بالمنطقِ اشتغلوا فِئيل : حقيقةً « إنَّ البلاءَ موكلٌ بالمنطقِ »

(٥٤)

وقال : (من البسيط)

- ١ وصَعْدَةُ لِبَسَتْ سِرْيَالِ مُشْتَهَرٍ بالحبِّ منغمسٍ في السُّهْدِ والأرقِ
٢ ما زالَ يطعنُ صدرَ الليلِ لَهْذَمَها حتى غَدَا سائلاً منه دُمُ الشُّفْقِ

(٥٥)

قال في تفضيل المشرق على المغرب :

- ١ لا يَسْتَوِي شَرْقُ الْبِلَادِ وَغَرْبُهَا الشَّرْقُ حَازَ الْفَضْلَ بِاسْتِرْقَاقِ
٢ انظر لحالِ الشَّمْسِ عِنْدَ طُلُوعِهَا زَهْرَاءَ تَصْعَبُ بِهِجَةُ الْإِشْرَاقِ
٣ وانظر لها عِنْدَ الْغُرُوبِ كَثِيبَةٌ صفراءَ تَعْقُبُ ظِلْمَةُ الْآفَاقِ
٤ وكفى بيومِ طُلُوعِهَا مِنْ غَرْبِهَا أنْ تُؤْذَنَ الدُّنْيَا بِوَشْكِ فِرَاقِ

(٥٣) الذيل والتكملة ٣٠/٦ .

- (١) الأصل : « مرهه » ، وما أثبتناه جاء في بعض النسخ من الأصل .
(٢) عجز البيت من الأمثال ، قائله أبو بكر الصديق رضي الله عنه في اللسان يجر على صاحبه ما لا يشتبه ، وأصل المثل « إن لكل طامة طامة وإن البلاء موكل بالمنطق » ، مجمع الأمثال ١٧/١ - ١٨ .

(٥٤) السحر والشعر ٢٨٠ « باب الوصف » .

(٥٥) الذيل والتكملة ٢/٥ - ٦١٠ - ٦١١ ، عنوان الدراية : ١٠٥ ، الإحاطة ٢/٢٣٧ .

- (١) الإحاطة : « باستحقاق » ، وهو أبلغ .
(٢) الإحاطة : « انظر إلى جمال الشمس ، وبها يكسر البيت ، ورواية البيت في عنوان الدراية :

- فانظر لحسن الشمس عند طلوعها بيبضاء تسحب بمرودة الإشراف
(٣) الإحاطة : « وانظر إليها عند الغروب » ، وبها يكسر البيت .
(٤) الإحاطة : « بعزم فراق » .

(قافية اللام)

(٥٦)

ويقول (*): (من المتقارب)

- ١ أخلاء هذا الزمان الخزون توالى عليهم صُروفُ العِلل
- ٢ تغيّرَ إخوانُ (***) هذا الزمان وكلُّ صديقٍ عَراهُ الخلل
- ٣ وكانوا قديمًا على صحّةٍ فقد داخلَتْهُمُ حُرُوفُ العِلل
- ٤ قضيتُ التعجبَ من أمرِهِم فصرتُ أطالعُ بابَ البدل

(٥٧)

وقال يتشوق لأرض الحجاز وقبر النبي ﷺ : (من المتقارب)

- ١ إذا بلغَ المرءُ أرضَ الحجازِ فقد نالَ أفضلَ ما أمله
- ٢ وإن زارَ قبرَ نبيِّ الهُدَى فقد أكملَ الله ما أمَّ له

(٥٦) ملح السحر ٧٤ ب « ٢ - ٤ » ، مطالع البدور ١٧٧/١ ، نفح الطيب ٣٨٤/٢ « ٤٠١ » ،

٤٩١/٢ « ٢ - ٤ » ، أنوار الربيع ٢٨٧/٢ « ٢ - ٤ » .

(*) رأى المقرئ بخط ابن سعيد رواية بيتين على وجه آخر :

تكلت أخلاء هذا الزمان فعندي مما جنوه خلل

قضيت التعجب من شأنهم فصرت أطالع باب البدل

(**) اللحن : « تغيّر أتراب » (ينظر نفح الطيب ٤٩١/٢ » .

(١) الأصل « حروف العِلل » ، وهو تحريف ما أثنىناه وإلا فإن الشاعر يكون قد وقع في

« عيب الإبطاء » وهو إعادة كلمة الروي « العِلل » لفظاً ومعنى بدون فاصلة سبعة

أبيات .

(٤) النفح ٣٨٤/٢ « من بابهم » .

(٥٧) الذيل والتكملة ٦٠٤/٢/٥ الإحاطة ٢٣٧/٢ ، جنوة الاقتباس ٢٨٠/١ .

(١) النفح « بلغ العبد » وآخر البيت « ما أم له » .

(٢) النفح « فإن زار » وآخر البيت « ما أمله » الإحاطة : آخر البيتين بلفظ واحد « ما أمله »

وفي أحدهما سهر من الناسخ .

(٥٨)

وقال في ذم الفلاسفة : (من الوافر)

- ١ لأشباع الفلاسفة اعتقادَ
 - ٢ أباحوا كلَّ معظورٍ حرامٍ
 - ٣ وما انتسبوا إلى الإسلامِ إلا
 - ٤ فيأتونَ المناكرَ في نشاطٍ
- يَرون به عن الشرع انحلالاً
وردُّوه لأنفسهم حلالاً
لصون دمائهم أن لا تُسالا
ويأتون الصَّلاة وهم كُسالى

(٥٩)

وقال في الحكمة والخلق الإسلامي : (من السريع)

- ١ إياك والشهرة في ملبسٍ
 - ٢ تواضعُ الإنسان في نفسه
- والبس من الأثواب أسماها
أشرفُ للنفس وأسمى لها

(٦٠)

قال يمدح أمير المؤمنين المنصور الموحيدي : (من الطويل)

- ١ بلغتَ أمير المؤمنين مدى المنى
 - ٢ قصدتَ إلى الإسلامِ تعلِّي مناره
 - ٣ تداركتَ دينَ الله في أخذ فرقةٍ
- لأنك قد بلغتنا ما تؤمِّلُ
ومقصدُك الأسنى لدى الله يُقبلُ
بمنطقهم كان البلاء مُوَكَّلُ

(٥٨) الذيل والتكملة ٦١١/٢/٥ .

(٤) في عجز البيت اقتباس من قوله تعالى : ﴿ ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى ﴾
التوبة ٥٤ .

(٥٩) نفع الطيب ٤٥٨/٢ .

(٦٠) الذيل والتكملة ٣١/٦ .

(٣) يريد بالفرقة الفلاسفة وعلى رأسهم ابن رشد ، وقد تعرض له في قصائد كثيرة ، وفي عجز البيت اقتباس من المثل الذي قاله أبو بكر الصديق رضي الله عنه : انظر ق ٤٤ هامش (٢) .

- ٤ أثاروا على الدين الحنيفي فتنة
٥ أقمتهم للناس يبرأ منهم
٦ وأوعزت في الأقطار بالبحث عنهم
٧ وقد كان للسيف استباق إليهم
٨ وآثرت درة الحد عنهم بشبهة
- لها نارٌ غي في العقائد تُشعلُ
ووجه الهدى من خزيبهم يتهللُ
وعن كتبهم والسعي في ذاك أجملُ
ولكن مقام الخزي للنفس أقتلُ
لظاهرِ إسلام وحكمك أعدلُ

(٦٠)

وقال : (من مغلغ البسيط)

- ١ مولاي إني بحالٍ شوقٍ كلُّ اضطبارٍ به يحولُ
٢ مرتقباً ذروة عساها تُشفي جوى هاجه الغليلُ
٣ أرسلتُ فيها إليك قلبي وما أرى يرجع الرسولُ

(٦١)

وقال في الحكمة : (من الطويل)

- ١ وكم فلتاتٍ للصنائع تُتقى عواقبُها إن لم تقع في محلها
٢ كذا شهواتُ المرء إن لم تكن له موافقةٌ عادتُ عليها بكلها

(٨) في ابن ماجه ، باب في الستر على المؤمن ودفع الحدود بالشبهات « ادفعوا الحدود ما وجدتم له مدفعاً » ، وفي الترمذي - حدود : « ادروا الحدود ما استطعتم » .

(٦٠) مختارات من الشعر المغربي ٢٢١ نقلاً عن أدباء مالقة ٥٦ .

(٦١) الذيل والتكملة : ٦٠٩/٢/٥ .

(٦٢)

وقال في الحكمة : (من البسيط)

١ الناسُ مثلُ ظروفٍ حشوها صَبِرُ وفوقَ أفواهاها شيءٌ من العَسَلِ

٢ تَغَرُّ ذَائِقُهَا حَتَّى إِذَا انْكَشَفَتْ لَهُ تَبَيَّنَ مَا تَحْوِيهِ مِنْ زَعَلٍ

(٦٣)

وقال في الحكمة : (من الكامل)

١ لصنائعِ المعروفِ فِلْتَةٌ غَافِلٍ إِن لَمْ تَضَعْهَا فِي مَحَلٍّ قَابِلٍ

٢ كَالنَّفْسِ فِي شَهَوَاتِهَا إِن لَمْ تَكُنْ وَفَقًا لَهَا عَادَتٌ بَضْرٌ عَاجِلٍ

(٦٤)

وله في قصيدة مطولة أولها : (من المتقارب)

لَعَلَّ بِشِيرِ الرِّضَا وَالْقَبُولِ يَعْلَلُ بِالْوَصْلِ قَلْبَ الْخَلِيلِ

(٦٢) غرر الخصائص ٢٧ ، نفع الطيب ٤٩١/٢ .

(١) الصبر : عصارة شجر مر .

(٢) النفع « إذا كُشِفَتْ ، من دخل » .

(٦٣) الذيل والتكملة ٦٠٩/٢/٥ ، الإحاطة ٢٣٧/٢ ، جنوة الاقتباس : ٢٨٠/١ .

(١) الإحاطة : « وصانع المعروف فِلْتَةٌ عَاقِلٌ » ، وفي أوله تحريف لا يستقيم به الوزن ، وفيه

« فِي مَحَلِّ عَاقِلٍ » ، الجنوة : « فضائع » .

(٢) الإحاطة « وَفَقًا لَهَا » ، الجنوة : « كَالشَّمْسِ فِي سَمَوَاتِهَا » .

(٦٤) نفع الطيب ٤٨٧/٢ .

(قافية الميم)

(٦٥)

ولما وصل ابن جبير إلى مكة في ١٢ ربيع الآخر سنة ٥٧٩ هـ أنشد قصيدته
التي أولها :

(من المتقارب)

١ بلغت المنى وحللت الحرم
٢ فأهلاً بمكة أهلاً بها
فعاد شبابك بعد الهرم
وشكراً لمن شكره يلتزم

وهي طويلة وآخرها :

٣ نبي شفاعته عصمة
٤ عسى أن تجاب لنا دعوة
٥ ويرعى لزواره في غد
٦ عليه السلام وطوى لمن
٧ أخي كم نتابع أهواننا
٨ رويدك جرت فحج واقتصد
٩ وتب قبل عض بنان الأسى
فيوم التنادي به يعتصم
لديه فنكفى بها ما أهم
ذماماً فما زال يرعى الذمم
ألم بتربته فاستلم
ونخبط عشوانها في الظلم
أمامك نهج الطريق الأعم
ومن قبل قرعك سن الندم

ومنها :

١٠ وقل رب هب رحمة في غد
١١ جرى في مبادين عصيانه
١٢ فيا رب صفحك عما جنى
لعبد بسيمة العصاة اتسم
مُسِيئاً ودان بكفر النعم
ويا رب عفوك عما اجترم

(٦٥) نفع الطيب ٤٩٢/٢ - ٤٩٤ .

(٩) في البيت اقتباس من المثل « قرع سن الندم » المستقصى ١٩٦/٢ .

وقال في الرمد : (من الكامل)

- ١ قالوا الحبيبُ شكا جُعِلَتْ فداءهُ رَمَدًا أَصَابَ جُفُونَهُ كَالْعَنْدَمِ
٢ فَأَجَبْتَهُمْ مَا زَالَ يَفْتِكُ لِحْظُهُ فِي مُهْجَتِي حَتَّى تَضُرَّجَ بِالْدَمِ

وقال يحرض السلطان صلاح الدين الأيوبي على النظر فيما ظهر من البدع

بالمدينة على دفينها الصلاة والسلام (*). (من الوافر)

- ١ صلاحُ الدينَ أنتَ له نظامُ فما يخشى لعروته انفصامُ
٢ فأظهرُ سنةَ الله احتساباً فقد ظهرت بها البدعُ العظامُ
٣ وفي دينِ الهدى حَدَّثْتُ أمورُ بها للدينِ حزنَ واغتمامُ
٤ جديرُ أنْ يقامَ لها ارقامُضاً ماتم للورى فيها التّدامُ
٥ وكيف يَلْذُ للأجفانِ نَومُ وللإسلامِ جَفَنُ لا ينامُ
٦ وكيف تَطيبُ في الدنيا حياةٌ وطيبةٌ لا يطيبُ بها مقامُ
٧ بتريتها رسولُ الله ثارُ وليس لأهلها منه احتشامُ
٨ لو احترموه أو هابوه يوماً لكانَ لصحبه معه احترامُ
٩ وهل يَرْضَى صلاتهم عليه إذا سَبَّتْ صَحَابَتُهُ الكرامُ
١٠

- ١١ عزوا بعد النّبي لهم ضلّالاً لقد ضَلَّ الفؤادُ وما استقاموا
١٢ وسنته أضاعوها امتهاناً فما لهم بواجبها اهتمام
١٣ وليس يَذَلَّ عندهم سوى من له بجميلِ مذهبا ارتسامُ
١٤ وما يَرعونَ ذمّةَ زائريه وللذمي قد يُرعى الذّمّامُ

(٦٦) السحر والشعر ٢١٧ « باب النسب » .

(٦٧) الذيل والتكملة ٦١٧/٢ - ٦٢٠ « ١-٦٥ » ، نفع الطيب ٣٨٤/٢ « ٥٧ » .

(٤) ارقض فلان من كذا : اشتد عليه وأقلقه ، وارقض له : حذب له ، التدم : اضم .

١٥	ومسجده المبارك عاد سوقاً	لهم فيها على اللهو ازدحام
١٦	يعيدُ به الصلاة مؤذّنوه	وما بإمامهم لهم ائتمام
١٧	إذا قاموا لها قاموا كسالى	على كره كأنهم نيام
١٨	يُضيعون المواقيت اقتصاداً	ليعدم للصلاة به انتظام
١٩	وروضته المقدسة استباحوا	مهابتها فادمعوها سجام
٢٠	إذا حفوا بها لعبوا ازدراءً	وكان لهم بتريتها انتخام
٢١	وقاموا للسلام وفيه لغن	لقد ساء الهدى ذاك المقام
٢٢	ويرقى فوق منبره خطيب	له في الدين خطب لا يرام
٢٣	هو القاضي وحسبك من قضاء	له بالجور في الشرع احتكام
٢٤
٢٥	وهل يغني انتسابهم إليها	وعن دين الهدى لهم انصرام
٢٦	ونوح لابنه لم يغن شيئاً	ولا أغناه بالجبل اعتصام
٢٧	أعز الله بالإسلام قوماً	فليس له بغيرهم قوام
٢٨	فذلك فرقة طعنت عليهم	وهيل على أنوفهم الرغام
٢٩	وكيف يعز عند الله قوم	ودين الله بينهم يضام
٣٠	نقوم إلى الصلاة وهم قعود	ويعلو عندها لهم الكلام
٣١	بلعن صمت الأذان منه	وسب للصحابة يستدام
٣٢	وتقرأ بين أيديهم جهاراً	توالف كلها زور سخام
٣٣	وسعى بين أيدينا اعتراضاً	لقطع صلاتنا منهم طغام
٣٤	فلا المأموم يدري ما يصلي	ولا يدري بما صلى الإمام
٣٥	تراهم يسخرون بنا احتقاراً	وللأحقاد عندهم احتدام
٣٦	ويعتقدوننا نجساً خبيثاً	فليس لهم لجائنا انضمام
٣٧	يرون الجمع للأختين حلاً	وتعطى البنات ما يرث الغلام

(١٧) في صدر البيت اقتباس من قوله تعالى : ﴿ وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى ﴾ .
النساء ١٤٢ .

(٢٠) تنخم : دفع بشيء في صدره أو أنفه .

- ٣٨ وما التَّجْمِيعُ عِنْدَهُمْ بِشَرِّعٍ .
 ٣٩ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَهُمْ فِرَادَى
 ٤٠ وَلَيْسَ لَهُمْ مِنَ الْإِسْلَامِ حِظٌّ
 ٤١ وَمَنْ قَدْ خَالَفَ السَّلَفَ ابْتِدَاعًا
 ٤٢ لَقَدْ مَرَقُوا مِنَ الدِّينِ اعْتِدَاءً
 ٤٣ لَهُمْ مِنْ أَهْلِ مَذْهَبِهِمْ شَيْخٌ
 ٤٤ فَكَمْ غَيْرِ أَضَلُّوا وَاسْتَزَلُّوا
 ٤٥ وَكَمْ غَيْرِ يَبْذِلُ الْمَالِ غَرُّوا
 ٤٦ فَأَضْرَمَ بِالْمَدِينَةِ نَارَ غِيٍّ
 ٤٧ وَأَوْسَعَ أَهْلَهَا بَرًّا وَبُرًّا
 ٤٨ فَمَا يُرْجَى لَهُمْ أَبَدًا فَلَاحٍ
 ٤٩ وَمَا لَهُمْ إِلَى خَيْرٍ مَضَاءٌ
 ٥٠ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ دَاءٌ عُضَالٌ
 ٥١ وَمَنْ لَمْ يَرْضَ حُكْمَ اللَّهِ شَرْعًا
 ٥٢ إِذَا انْحَطَّ الرُّعْبَةُ فِي هَوَاهَا
 ٥٣ وَإِنْ نَشَأَتْ عَوَارِضُ لِلْأَعَادِي
 ٥٤ فَاْمَضِ الْهَمَّةَ الْعُلْيَا إِلَيْهِمْ
 ٥٥ وَأَرْضِ الْمُصْطَفَى فِي صَاحِبِيهِ
 ٥٦ أَتَاكَ رِضَاؤُهُ عَفْوًا فَاغْتَنِمِهِ
 ٥٧ أَيْقَبِلْ مِنْكَ عِنْدَ اللَّهِ عُذْرٌ
 ٥٨ وَمَا نَالَ الْحِجَازُ بِكُمْ صَلَاحًا
 ٥٩ وَلَوْلَا هَيْبَةُ لَدَفِينِهِمْ لَمْ
 ٦٠ فَبِإِنْ أَسْلَمْتَ دِينَ اللَّهِ فِيهَا
- لَقَدْ تَاهَوْا بِبَاطِلِهِمْ وَهَامَوْا
 لَقَدْ شَرَدُوا كَمَا شَرَدَ النَّعَامُ
 وَلَوْ صَلُّوا مَدَى الدُّنْيَا وَصَامُوا
 أَتَنْفَعُهُ الصَّلَاةُ أَوْ الصِّيَامُ
 كَمَا مَرَقَتْ مِنَ الْمَرْمَى السُّهُامُ
 أَقَامُوا بَيْنَ أَظْهَرِهِمْ وَدَاْمُوا
 فَحُمَ عَلَى الضَّلَالِ لَهُ الْحِمَامُ
 فَكَانَ عَلَى الْخَطَامِ لَهُ انْحِطَامُ
 أَبَتْ أَلَا يَزَالُ لَهَا اضْطِرَامُ
 فَكَانَ لَهُمْ عَلَى الْغِيِّ اقْتِحَامُ
 وَلَا رَشْدٌ وَهَلْ يُرْجَى الْجَهَامُ
 مَدَى الدُّنْيَا وَهَلْ يَمْضِي الْكَهَامُ
 وَمَا يَسُوِي الْحُسَامُ لَهُ انْحِسَامُ
 فَمَا دَمَهُ لِسَافِكِهِ حَرَامُ
 وَلَمْ تُرْدَعْ فَرَاعِيهَا يُلَامُ
 فَبَرَقَ السَّيْفُ أَوَّلَ مَا يُشَامُ
 وَجَاهِدْ أَيُّهَا الْمَلِكُ الْهُمَامُ
 بِنَصْرِ لَا يُفْلُ لَهُ اعْتِزَامُ
 لَمَّا تَرَجَوْ وَحَقَّ لَهُ اغْتِنَامُ
 وَمَا لَكَ مِنْ أَعَادِيهِ انْتِقَامُ
 وَقَدْ نَالَتْهُ مِصْرُ وَالشَّامُ
 تُحِجُّ الْكَعْبَةُ الْبَيْتَ الْحَرَامُ
 عَلَى الدُّنْيَا وَسَاكِئِهَا السَّلَامُ

(٤٨) الجهم : السحاب الذي لا ماء فيه .
 (٤٩) الكهام : السيف الكليل .

وقال وقد تحرك للرحلة الحجازية : (من الوافر)

- | | |
|--|--|
| ١ أقول وقد دعا للخير داع | حَنَنْتُ لَهُ حَنِينَ الْمُسْتَهَامِ |
| ٢ حَرَامٌ أَنْ يَحُلَّ بِي اعْتِيَاذُ | وَلَمْ أَرْحَلْ إِلَى الْبَيْتِ الْحَرَامِ |
| ٣ فَلَا طَافَتْ بِي الْأَمَالُ إِنْ لَمْ | أُطْفَأْ مَا بَيْنَ زَمَزَمَ وَالْمَقَامِ |
| ٤ وَلَا طَابَتْ حَيَاةُ لِي إِذَا لَمْ | أَزْرُقْ فِي طَيِّبَةِ خَيْرِ الْأَنْعَامِ |
| ٥ فَأَهْدِيهِ السَّلَامَ وَأَقْتَضِيهِ | رِضَا يُدْنِي إِلَى دَارِ السَّلَامِ |

(قافية النون)

(٦٩)

وقال يهنيء حجاجاً اجتمع بهم في مكة - شرفها الله - وتشوق إليهم :

(من الرمل)

- | | |
|--|---|
| ١ يَا وَفودَ اللَّهِ فُزْتُمُ بِالْمَنَى | فَهَنَيْتُمْ لَكُمْ أَهْلَ مَنَى |
| ٢ قَدْ عَرَفْنَا عِرْفَاتٍ مَعَكُمْ | فَلِهَذَا بَرَحَ الشَّوْقُ بِنَا |
| ٣ نَحْنُ بِالْمَغْرِبِ نُجْرِي ذِكْرَكُمْ | فَغُرُوبُ الدَّمْعِ تَجْرِي هَتْنَا |
| ٤ أَنْتُمْ الْأَحْبَابُ نَشْكُو بَعْدَكُمْ | هَلْ شَكُوتُمْ بَعْدَنَا مِنْ بَعْدَنَا |
| ٥ عَلْنَا نَلْقَى خَيْالاً مِنْكُمْ | بِلَذِيذِ الذِّكْرِ وَهْنًا عَلْنَا |

(٦٨) زاد المسافر ١١٥ ، نفع الطيب ٤٩٣/٢ .

(٢) النفع : « أن يُلْذِي اغْتِمَاضُ » ، والاعتياض : طلب العوض .

(٣) النفع : « ولا طافت » .

(٥) النفع : « وأهديه » .

(٦٩) زاد المسافر ١٥٩ ، عقود الجمان ج ٦ ورقة ٦٣ - ٦٤ « ١٥-١ » عدا (٦) ، المغرب :

٣٨٥/٢ هـ « ٣-١ » الذيل والتكملة ٦١٤/٢/٥ « ١٥-١ » ، نفع الطيب ٤٨٦/٢ -

٤٨٧ « ١٥-١٢ ، ٧-١ » .

(٢) المغرب والنفع : « عرفات بعدكم » .

(٣) النفع : « نحن في الغرب ويجري ذكركم بغروب ، المغرب : « وغروب الدمع تجري بيننا » .

- ٦ لو حنا الدهر علينا لَقضى
 ٧ لاح برق موهنا من أرضكم
 ٨ صدع الليل وميضاً وسناً
 ٩ كم جنى الشوق علينا من أسى
 ١٠ ولكم بالخيف من قلب شج
 ١١ ما ارتضى جانحة الصدر له
 ١٢ فيناديه على شحط النوى
 ١٣ سربنا يا حادي العيس عسى
 ١٤ ما عنى داعي النوى لما دعى
 ١٥ شم لنا البرق إذا لاح وقل
- باجتماع بكم في المنحنى
 فلعمري ما هنا العيش هنا
 فأبيننا أن نذوق الوسنا
 عاد في مرضاتكم حلو الجنى
 لم يزل خوف النوى يشكو الضنى
 سکناً منذ به قد سکننا
 من لنا يوماً بقلب ملنا
 أن نلاقي يوم جمع سربنا
 غير صَب شفه برح العنا
 جمَعَ الله بجمع شملنا

(٧٠)

وقال يتشوق لوطنه :

- ١ غريبٌ تذكّر أوطائنه
 ٢ يحلّ عرى صبره بالأسى
 ٣ ويرسل للغرب من دمه
- فهيج بالذكر أشجائه
 ويعقّد بالنجم أجفانه
 غروباً لتسقي سكانه

(٦) الزاد والنفع : « بالمنحنى » .

(٧) النفع : « من تحوكم » .

(٨) الزاد : « وميض » .

(٩) الزاد « مرضاكم » .

(١٢) الزاد « فتناديه » العقود : فتناديه « ، الشحط : البعد .

(١٣) النفع : « يا حادي الركب » .

(١٤) النفع : « ما دعا » .

(١٥) الزاد والذيل : « إذا هب » ، وشام البرق : نظر إلى سحابته أين تقطر .

(٧٠) زاد المسافر ١١٥ » ١-٢ ، المغرب ٣٨٥/٢ » ١-٣ ، نفع الطيب ٣٨٤/٢ » ١-٣ .

(٢) المغرب : « يحل جواد عقود الغزاء » .

(٧١)

وقال وقد شهد العيد بطندقة من قرى مصر : (من الطويل)

- ١ شَهِدْنَا صَلَاةَ الْعِيدِ فِي أَرْضِ غُرْبَةٍ بِأَحْوَازِ مِصْرَ وَالْأَحِبَّةِ قَدْ بَانُوا
٢ فَقُلْتُ لَخَلِي فِي النَّوَى جُدْ بَدْمَعَةٍ فَلَيْسَ لَنَا إِلَّا الْمَدَامُ قُرْبَانُ

(٧٢)

وقال في الصمت : (من الوافر)

- ١ بَيَّانُ الْمَرْءِ بِالْإِكْثَارِ عَيْبٌ وَعُقُوبَى الصُّمْتِ أَقْرَبُ لِلْبَيَّانِ
٢ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ فَكَّرْتَ شَيْءٌ أَحَقُّ بِطَوْلِ سِجْنٍ مِنْ لِسَانِ

(٧٣)

وقال يطلب الرضا :

- ١ يَا رَبِّ هَبْ لِي رِضَاكَ عَنِّي فَإِنَّهُ غَايَةُ التَّمَنِّي
٢ إِنَّ نَلْتَهُ مِنْكَ لَا أَبَالِي مَا نَالَ صَرْفُ الزَّمَانِ مِنِّي

(٧١) رحلة العبدري ٧١ ، نفح الطيب ٤٩٢/٢ ، الحلل السندسية ٢٦٩/١/١ .

(٢) النفح : « جد بدمع » .

(٧٢) جنوة الاقتباس ٢٨٠/١ .

(٧٣) لمح السحر ٨٦ ب .

(قافية الهاء)

(٧٤)

قال في الحكمة والخلق الإسلامي : (من الطويل)
١ تنزه عن العوراء مهما سمعتها صيانة نفس فهو بالحر أشبه
٢ إذا أنت جاورت السفينة مشاقماً فمن يتلقى الشتم بالشتم أسفه

(٧٥)

وقال : (من مجزوء الخفيف)
١ قل إذا جئت مجلساً وسمعت المزاح مة
٢ واجتنب كل مورد فيه تلقى المزاحمة

(٧٦)

أنشد ابن جبير بمسجد الإسكندرية : (من الكامل)
١ يا زائراً لم يقض أن ألقاه دهر يعوق عن الذي أهواه
٢ ضن الزمان وقد سمحت فلم يكن من زرتك للعين من معناه
٣ يا ويح لعظيم أنسر فاته إن لم يذب كمداً فما أفساه
٤ لما وجدت فناء داري عا طراً أيقنت أنك قد وطئت ثراه
٥ وطلبت للتقبيل فيه موضعاً فإذا الحيا المنهل قد عفاه
٦ لم يبق من أثر لوطك في الثرى فجعلت ألثم حيث تم شذاه
٧ حتى الغمام يعوق عما أبتغي يا ما أكابده وما ألقاه

(٧٤) نفع الطيب ٤٨٥/٢ .

(٧٥) عقود الجمان ٦٥/٦ .

(٧٦) عقود الجمان ٦٤/٦ .

(٧٧)

قال في ذم الفلاسفة : (من المجتث)

- ١ قل للزناديق عني
 - ٢ أرسلت شعري فيكم
 - ٣ صدعت لله فيه
 - ٤ كم ظاميء لكلامي
 - ٥ وكم غليل فؤادي
 - ٦ وراكب لهواه
 - ٧ لعلكم إن تقولوا
 - ٨ من كان جاهل شيء
 - ٩ هيئات بغضي فيكم
 - ١٠ وذلك العلم عندي
- قولا هو السيف أمضيه
يغزوكم بقوافيه
بالحق والحق يرضيه
يروي عجباً فيرويه
بصحة القول يشفيه
عساه يوماً سيثنيه
فإنكم أهل تمويه
فلا يزال يعاديه
في الله والله يدريه
لا خير فيكم ولا فيه

(٧٨)

وقال في جارية تركها بغرناطة : (من مخلع البسيط)

- ١ طول اغتراب ورح شوق
 - ٢ إليك أشكو الذي ألقى
 - ٣ ولي بغرناطة حبيب
 - ٤ ودعته وهو بارتماض
 - ٥ فلو ترى طل نرجسيه
 - ٦ أبصرت دراً على عقيق
- لا صبر والله لي عليه
ياخير من يشتكى إليه
قد غلق الرهن في يديه
يظهر لي بعض ما لديه
ينهل في ورد صفحتيه
من دمعته فوق وجنتيه

(٧٧) الذيل والتكملة ٦١٢/٢/٥ .

(٧٨) المغرب ٣٨٤/٢ - ٣٨٥ ، نفح الطيب ٣٨٦/٢ .

(٤) النفع : « وهو في دلال » ، والارتماض من قولهم : ارتفض فلان من كذا ، بمعنى اشتد عليه وأقلقه .

(٥) النفع : « في ورد وجنتيه » .

(٦) النفع : « فوق صفحتيه » .

(٧٩)

قال لما رأى البيت الحرام زاده الله شرفاً : (من المتقارب)
١ بدت لي أعلام بيت الهدى بمكة والنور بادٍ عليه
٢ فأحرمت شوقاً له بالهوى وأهديت قلبي هدياً إليه

(٨٠)

ومن أبدع ما أنشده أول رحلته إلى الديار المقدسة : (من الخفيف)
١ طالَ شوقي إلى بقاعِ ثلاث لا تشدُّ الرجالُ إلا إليها
٢ إنَّ للنفسِ في سماء الأمانى طائراً لا يحوم إلا عليها
٣ قصُّ منه الجناحُ فهو مهيبُ كلَّ يومٍ يرجو الوقوع لديها

(٨١)

وقال يخاطب غرناطة : (من مجزوء الرمل)
١ يا دمشق الغرب هاتين كِ لَقَدْ زِدَتْ عَلَيْهَا
٢ تحتك الأنهارُ تجري وهي تنصبُ إليها

(٧٩) نفع الطيب ٣٨٤/٢ .

(٨٠) نفع الطيب ٤٨٨/٢ .

(١) في البيت اقتباس من الحديث الشريف « لا تشدُّ الرجالُ إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى » صحيح البخاري ٧٣/٢ .

(٨١) نفع الطيب ٣٩٢/٢ .

(قافية الياء)

(٨٢)

وقال يذم الفلاسفة : (من المجتث)

- | | | |
|---|------------------------------|------------------------------|
| ١ | الدِّينَ يَشْكُو بَلِيَّه | مَنْ فِرْقَةَ مَنْطِقِيَّه |
| ٢ | لَا يَشْهَدُونَ صَلَاةً | إِلَّا لِمَعْنَى التَّقِيَّه |
| ٣ | وَلَا تَرَى الشَّرْعَ إِلَّا | سِيَاسَةً مَدْنِيَّةً |
| ٤ | وَيُؤْثِرُونَ عَلَيْهِ | مَذَاهِبًا فِلَسْفِيَّةً |

(٨٣)

وقال ابن جبير في رحلته : (من مجزوء الخفيف)

- ١ سَيَكُونُ الَّذِي قُضِيَ سَخِطَ الْعَبْدُ أَوْ رَضِيَ

(قافية الألف)

(٨٤)

قال حين دخل بغداد فاقتطع غصناً نضيراً فذوى في يده: (من مجزوء الرجز)

- ١ لَا تَغْتَرِبْ عَنْ وَطَنٍ وَاذْكُرْ تَصَارِيفَ النَّوَى
٢ أَمَا تَرَى الْغُصْنَ إِذَا مَا فَارَقَ الْأَصْلَ ذَوَى

(٨١) نفع الطيب ٣٩٢/٢ .

(٨٢) الذيل والتكملة ٦١١/٢/٥ - ٦١٢ .

(٨٣) رحلة ابن جبير ٢٨٩ .

المنسوب إلى ابن جبير

(٨٥)

انشد أبو عمرو بن الشقر عن بعضهم قال : ولا أدري هل هو له أو تمثل به ؟
قال : (من الطويل)

١ ألا إن هذا الدهر يومٌ وليلة يكرآن من سبت عليل إلى سبت

٢ فقل لجديد العيش : لا بد من بلى وقل لاجتماع الشمل : لا بد من شت

(٨٥) رحلة العبدري ٧٢ ، الحلل السندسية ١/١/٢٧٠ .

**ما وصل إلينا
من نشره**

ماشاهده في مجالس ابن الجوزي ببغداد :

« ثم شاهدنا صبيحة يوم السبت بعده مجلس الشيخ الفقيه ، الإمام الأوحّد ، جمال الدين أبي الفضائل بن علي الجوّزي ، بإزاء داره على الشطّ بالجانب الشرقيّ وفي آخره على اتصال من قصور الخليفة ومقرّبة من باب البصليّة آخر أبواب الجانب الشرقي ، وهو يجلس به كل يوم سبت ، فشاهدنا مجلس رجل ليس من عمرو ولا زيد ، وفي جوف القرا كلّ الصيد ^(١) ، آية الزمان ، وقرّة عين الإيمان ، رئيس الحنبليّة ، والمخصوص في العلوم بالرتب العليّة ، إمام الجماعة ، وفارس حلبة هذه الصناعة ، والمشهود له بالسبق الكريم في البلاغة والبراعة ، مالك أزمنة الكلام في النظم والنثر ، والغائص في بحر فكره على نفائس الدرّ ، فأما نظمه فرضيّ الطّباع ، مهباري ^(٢) الانطباع ، وأما نشره فيصدع بسحر البيان ، ويُعطّل المثل بقُس وسَحَبان .
ومن أبهر آياته ، وأكبر معجزاته ، أنه يصعد المنبر ويبتدئ القراءة بالقرآن ، وعددهم نيّف على العشرين قارئاً ، فينتزع الاثنان منهم أو الثلاثة آية من القراءة يتلونّها على نسق بتطريب وتشويق ، فإذا فرغوا تلت طائفة

(١) رحلة ابن جبير ١٩٦ - ٢٠٠ .

(١) مأخوذ من المثل القائل : كلّ الصيد في جوف القرا ، والقرا : الحمار الوحشي ، يريد أن الخطيب وحيد في علمه .

(٢) رضي الطّباع : شبيه في طبعه بالشريف الرضي الشاعر المشهور . مهباري : شبيه بمهيار الديلمي الشاعر أيضاً .

أخرى على عددهم آية ثانية ، ولا يزالون يتناوبون آيات من سور مختلفات إلى أن يتكاملوا قراءة ، وقد أتوا بآيات مشتبهات ، لا يكاد المتقّد الخاطر يحصلّها عدداً ، أو يسمّيها نسقاً . فإذا فرغوا .. أخذ هذا الإمام الغريب الشأن في إيراد خطبته ، عَجلاً مبتدراً ، وأفرغ في أصداف الأسماع من ألفاظه دُرّاً ، وانتظم أوائل الآيات المقروءات في أثناء خطبته فقرأ ، وأتى بها على نسق القراءة لها ولا مقدّماً ولا مؤخراً . ثم أكمل الخطبة الغراء بها عَجلاً ! ﴿ أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون ﴾ ^(١) ، ﴿ إن هذا لهو الفضل المبين ﴾ ^(٢) ، فحدّث ولا حرج عن البحر ، وهيهات ، ليس الخبر عنه كالخبر ! ثم إنه أتى بعد أن فرغ من خطبته برقائق من الوعظ وآيات بينات من الذكر ، طارت لها القلوب اشتياقاً ، وذابت بها الأنفس احتراقاً ، إلى أن علا الضجيج ، وتردّد بشهقاته النشيج ، وأعلن التائبون بالصباح ، وتساقطوا عليه تساقط الفَرّاش على المصباح ، كلُّ يُلقي ناصيته بيده فيجزّأها ، ويمسح على رأسه داعياً له ، ومنهم من يُغشى عليه فيرُقع في الأذرع إليه ، فشاهدنا هولاً يملأ النفوس إنابة وندامة ، ويذكّرها هولَ يوم القيامة ، فلو لم نركب ثَبَجَ البحر ، ونعتسف مفاظات القفر إلا لمشاهدة مجلس من مجالس هذا الرجل ، لكانت الصفقة الرابعة . والوجهة المُقلّحة الناجحة ، والحمد لله على أن من بقاء من تشهد الجمادات بفضله ، ويضيق الوجود عن مثله .

وفي أثناء مجلسه ذلك يبتدرون المسائل ، وتصير إليه الرقاع ، فيجواب أسرع من طرفة عين . وربما كان أكثر مجلسه الرائق من نتائج تلك

(١) سورة الطور ، الآية ١٥ .

(٢) سورة النمل ، الآية ١٦ .

المسائل ، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء ، لا إله سواه .

ثم شاهدنا مجلساً ثانياً له ، بكرة يوم الخميس الحادي عشر لصفر ، بباب بدر في ساحة قصور الخليفة ، ومناظره مشرفة عليه . وهذا الموضع المذكور هو من حرم الخليفة ، وخُص بالوصول إليه والتكلم فيه ليسمعه من تلك المناظر الخليفة ووالدته ومن حضر من الحُرَم . ويُفَتَح الباب للعمامة فيدخلون إلى ذلك الموضع ، وقد بُسَط بالحُصْر ، وجلوسه بهذا الموضع كل يوم خميس . فبكرنا لمشاهدته بهذا المجلس المذكور ، وقعدنا إلى أن وصل هذا الحَبْر المكلّم ، فصعد المنبر ، وأرخى طيلسانه عن رأسه تواضعاً لحرمة المكان ، وقد تسطر القراء أمامه على كراسي موضوعة ، فابتدروا القراءة على الترتيب ، وشوقوا ما شاءوا ، وأطربوا ما أرادوا . ويدرّت العيون بإرسال الدموع ، فلما فرغوا من القراءة ، وقد أحصينا لهم تسع آيات من سور مختلفات ، صدع بخطبته الزهراء الغراء ، وأتى بأوائل الآيات في أثنائها منتظمات ، ومشى الخطبة على فقرة آخر آية منها في الترتيب إلى أن أكملها ، وكانت الآية ﴿ الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصراً إن الله لذو فضل على الناس ﴾ (١) ، فتمادى على هذا السين (٢) ،

وحسن أيّ تحسين ، فكان يومه في ذلك أعجب من أمسه ، ثم أخذ في الثناء على الخليفة والدعاء له ولوالدته ، وكنى عنها السّتر الأشرف ، والجناب الأرف . ثم سلك سبيله في الوعظ ، كل ذلك بديهة لا روية ، ويصل كلامه في ذلك بالآيات المقروءات على النسق مرة أخرى ، فأرسلت وإبلاها العيون ، وأبدت النفوس سر شوقها المكنون ، وتطارح الناس عليه

(١) سورة غافر ، الآية ٦١ .

(٢) أي الكلام المسجوع بحرف السين .

بذنوبهم معترفين ، وبالتوبة مُعلنين ، وطاشت الألبابُ والعقول ، وكان الولك
والذهول ، وصارت النفوس لا تملك تحصيلاً ، ولا تميز معقولاً ، ولا تجد
للصبر سبيلاً .

ثم في أثناء مجلسه ينشد بأشعار من النسيب مبرحة التشويق ، بديعة
الترقيق تشعل القلوب وجداً ، ويعود موضعها النسيبي زهداً . وكان آخر
ما أنشد من ذلك ، وقد أخذ المجلس مأخذه من الاحترام ، وأصاب المقاتل
سهام ذلك الكلام :

أين فؤادي أذابه الوجد : وأين قلبي فما صحا بعدُ
يا سعد زدني جوى بذكرهم : بالله قل لي قُديتَ يا سعدُ

ولم يرددها والانفعال قد أثر فيه ، والمدامع تكاد تمنع خروج الكلام
من فيه ، إلى أن خاف الإفحام ، فابتدر القيام ، ونزل عن المنبر دهشاً عجلاً
وقد أطار القلوب وجلاً ، وترك الناس على أحر من الجمر ، يشيعونه بالمدامع
الحمر . فمن مُعلنٍ بالانتحاب ، ومن متعفّرٍ في التراب . فياله من مشهدٍ
أهولَ مرآه ، وما أسهد من رآه ! نفعا الله ببركته . وجعلنا ممن فاز به
بنصيب من رحمته ، بمنه وفضله .

وفي أول مجلسه أنشد قصيداً نير القبس ، عراقِي النفس ، في
الخلافة ، أوله :

في شغلٍ من الغرام شاغلٍ من هاجه البرق بسفح عاقلٍ
يقول فيه عند ذكر الخلافة :
يا كلمات الله كوني عودّةً من العيون للإمام الكامل

(٢)

ففرغ من إنشاده وقد هزّ المجلس طرباً ، ثم أخذ في شأنه وتمادى في
إيراد سحر بيانه . وما كنا نحسب أن متكلماً في الدنيا يُعطي من ملكة

النفوس والتلاعب بها ما أُعطيَ هذا الرجل ، فسبحان من يخلص بالكمال من
يشاء من عباده ، لا إله غيره . »

(٢)

من نشره ما كتبه إلى الشام متشوقاً لشيخ الشيخ ابن حمويه ^(١) ،
جواب كتاب صدر منه إليه :

« صدرت المخاطبة العزيزة ، الفلاتية ، حرس الله سناءه ، وهنائه ،
ويسر له كل أمل وسنائه ، وعرفه بعد طول العمر حسنى خواتم مسعاه ، بما
صدر عن مثله ، ويضيق بفضله ، والفضل لا ينكر على أهله ، وعلم الله
أنى إليه بالأشواق ، وكيف لا ، ومن ذاق طيب شيمه الكريمة ، لم يشبع من
ذواق ، وحصل من محبته ، ويبقيه ^(٢) ، ومن كل مكروه يقيه ، وإلى كل
معلوء يرقيه . »

(٣)

وكتب إليه أيضاً ، شافعاً في رجل من فقراء أهل بلده ، أن ينزل في
موضع يرتزق منه ، وقد كان يكرر القول فيه :

« كان قد تقدم وعده الكريم للشيخ الصالح فلان ، أن ينزل مع
الصوفية - نفع الله ببركتهم - أو يرتب له (أمان) ^(١) مسجد في هذا
الشهر الشريف ، فإن كان قد تيسر ذلك ، فهو يسأل إنجازاه ، وإن تعسر
ذلك ، لسوء حظه ، فليس له سوى بابه المقصود ، ولا يردُّ عند ظمأ به سوى

(٢) عقود الجمان (مخطوط) ج ٦ ورقة ٦٦/أ-ب .

(١) تقدمت ترجمته في هامش ق ١٩ .

(٢) كذا الأصل وفيه تحريف .

(٣) عقود الجمان (مخطوطة) ج ٦ ورقة ٥٦٦ - ٦٧ أ .

(١) كذا الأصل ، وهو يستقيم على الإضافة إلى (مسجد) .

بحر كرمه المورود ، فقد أسمع لسان الحال عنه ، أدام الله سؤدده :

إلينا اقصدوا يا معشر الركب إننا نرى العار أن تُمسي بغير وفودٍ

فإن كان قد تيسر ذلك ، فهو يسأل إنجازَه ، وهذه ليالٍ عظم الله بركتها عليه ، وساق أجر الداعين فيها إليه ، لا يحتمل الصبر على إفراط الضرورة البشرية واللوازم الجثمانية ، سيما مع العيال ، وقرط الإملال ، وما كتبتها إلا وقد تحققت أنه انتهى إلى حالة لا يستطيع معها صبراً ، وتمسك بذيل المراحم السخية ، وقد طفق لسانه يقرأ : ﴿ إن سألتك عن شيءٍ بعدها ، فلا تُصاحبني قد بلغت من لدني عذراً ﴾ ^(١) .

(٤)

قال الشيخ ، وكتب إليه أيضاً من الإسكندرية متشوقاً ، وشافعاً ، ومقصودي ذكر فضله ونشر ذكره ، لا وصف ما وصفني ، ثناءً على حسن ظنه ، لا على حقيقة حال صدرها بهذه الأبيات :

سَلامَ كَأَزارِ الرُّبُيعِ نِضارَةً وَحُسناً عَلَى شَيْخِ الشُّيُوخِ الَّذِي صَفَا

وَلَوْ لَمْ يَغْنُفَنِي الْعُذْرُ عَنْ قَصْدِ رُبْعِهِ سَعَيْتُ كَمَا يَسْعَى الْمَلْبِيُّ إِلَى الصَّفَا

وَلَكِنْ عَدَانِي عَنْهُ دَهْرٌ مَكْدُرٌ وَمَنْ ذَا الَّذِي وَاثَاهُ فِي دَهْرِ الصَّفَا

أصدرت هذه اللمعة ، والشوقُ إلى خدمته ، مستعرٍ اللهب ، وأدعيتي في ضمن ذلك متتابعة الأوراد والثوب ، ولست أرى الإغراق ، في إيضاح ولائي الذي راق ، لتحقيقي إحاطة المعرفة الكريمة بعقائد أولي الوفاق ، والله سبحانه مُوقفي لشكرٍ ما منحته من جميل ولائه ووداده ^(١) اللذين خلصا لي بغير استحقاق ، وهذه التحية تصل على يد فلان ، وهو غرارة ^(٢) أهلي

(١) اقتباس من قوله تعالى في سورة الكهف الآية ٧٧ .

(٤) عقود الجمان (مخطوطة) ج ٦ ورقة ٦٧ أ - ب .

(١) الأصل : « ووداه » وهو تحريف .

(٢) الأصل « غرارة » وهو تحريف ، والغرارة من القوم ، شريفهم .

وأخلاقي ، وولاؤه للشيخ السيد فلان كولائي ، وما فتىء منذ حظي باجتلاء محاسنه الباهرة ، واختيار أخلاقه الطاهرة ^(١) ، من تلاوة صحف الثناء المحبّر ، والإطناب فيما برز فيه على مادح كتب وعبر ، وقد قصد الخدمة ، ويا ليتني كنت معه ، وأحظتني الأيام بما أحظت مرآه ومسمعه ، على أنني وإن كنت عابطاً ، فلست من درك الأمل قانطاً :

فقد يجمعُ الله الشبتين بعدمَا يظنَّانِ كلَّ الظنِّ ألا تلاقيا ^(٢)

وقد قصد ذلك الرُّبع المعمور ، والرباط الذي هو قبلة المجد المشهور ، وكفلت له عن السيادة بأن يتلقى الترحيب والتأهيل ، ويمدّ بالمساعدة المفضية به إلى درك التأميل .

(٥)

وقال ابن جببر :

« شغل الناس عن طريق الآخرة بزخارف الأعراض ، فلجؤا في الصدور عنها والإعراض ، آثروا دنيا هي أضغاث أحلام ، وكم هَفَّت في حبّها من أحلام ، أطالوا فيها آمالهم وقصّروا أعمالهم ، ما بالهم لم يتفرغ لغيرها بالهم ، ما لهم في غير ميدانها استباق ^(١) ، ولا بسوى هواها اشتياق ^(٢) ، تالله لو كُشِفَت الأسرار ، لما كان هذا الإصرار ، ولَسَهَرَتُ العُيون ، وتفجّرت من شئونها الجفون ، فلو أن عَيْنَ البصيرة من سنّتها هَابَتْ ، لرأت أن جميع ما في الدنيا ربح هابة ^(٣) ، ولكن استولى العمى على

(١) الأصل « قلاده » .

(٢) البيت للمجنون ، ديوانه ٢٩٣ .

(٥) الذيل والتكملة ٦٠٨/٢/٥ - ٦٠٩ ، الإحاطة ٢٣٨/٢ .

(١) ، (٢) الذيل : « استنان » في الموضعين وهو تصحيف .

(٣) الإحاطة : « لرأت جميع ما في الدنيا ربحاً هابة » .

البصائر ، ولا يعلمُ المرء ما هو إليه صائر^(١) ، أسأل الله هداية لسبيله^(٢) ،
ورحمة تورّد في نسيم الفردوس وسلسبيله ، إنّه الحنانُ المنانُ لا ربُّ
سواه » .

(٦)

وقال ابن جبير :

فلتات الهبّات ، أشبه شيء بفلتات الشهوات ، منها نافع لا يُعقبُ
ندماً ، ومنها ضارٌّ يبقي في النفس ألماً ، فضرُّ الهبة وقوعها عند من لا
يعتقد لحقها أداء ، وربما أثمرت^(١) عنده اعتداءً ، وضرُّ الشهوة ألا توافقَ
ابتداءً ، فتعود لمستعملها^(٢) داءً ، مثلها^(٣) كمثّل السكر ، يلتذ صاحبه
بحلوّ جنّاه ، فإذا صحّا تعرّف^(٤) قدر ما جنّاه ، ومنفعتُها بعكس هذه
القضية ، وهي الحالة المرضية^(٥) ، فالأسلم للمرء أن يأتي أمره على بصيرة
من رُشده ، مستوضحاً فيه سبيل قصده ، وما التوفيقُ إلا بالله ، وما الخير
إلا من عند الله ، لا إله إلا هو .

(١) الإحاطة : « الإنسان ما إليه صائر » .

(٢) الإحاطة : « هداية سبيله » .

(٦) الذيل والتكملة ٦٠٩/٢/٥ ، الإحاطة ٢٣٨/٢ - ٢٣٩ .

(١) الإحاطة : « أثرت » وهو تحريف .

(٢) الإحاطة : « لمُتبعها » .

(٣) الإحاطة : « مثلها » .

(٤) الإحاطة : « يعرف » .

(٥) الإحاطة : « عكس هذه القضية هي الحالة المرضية » ، وقد سقط ما بعد الكلمة من
الإحاطة .

من حكم ابن جبير وأقواله :

(٧)

قوله :

« إن شَرَفَ الإنسان ، فبفضل^(١) وإحسان ، وإن فاقَ فبفضل وإنفاق^(٢) » .

(٨)

وقوله في اللسان :

« ينبغي للإنسان أن يحفظ لسانه^(١) ، كما يحفظ الجفن إنسانه ،
فربَّ كلمةٍ تقال ، تحدثُ عشرةً لا تُقال » .

(٩)

وقوله فيه :

« كم كست فلتات الألسنة الحداد ، من ورائها من ملابس
الحداد^(١) » .

(١٠)

وقوله :

« نحن في زمن لا يحظى فيه بنفاق إلا من عامل بنفاق » .

(٧) الذيل والتكملة ٦٠٨/٢/٥ ، الإحاطة ٢٣٧/٢ - ٢٣٨ .

(١) الإحاطة : « فشرف وإحسان » .

(٢) الإحاطة : « فبفضل وإرفاق » .

(٨) الذيل والتكملة ٦٠٨/٢/٥ ، الإحاطة ٢٣٨/٢ .

(١) الإحاطة : « ينبغي أن يحفظ الإنسان لسانه » .

(٩) الذيل والتكملة ٦٠٨/٢/٥ ، الإحاطة ٢٣٨/٢ .

(١) الإحاطة : « ملابس حداد » .

(١٠) الذيل والتكملة ٦٠٨/٢/٥ ، الإحاطة ٢٣٨/٢ .

الفهارس

- فهرس المصادر والمراجع
- فهرس الأشعار
- فهرس النثر
- فهرس الأعلام
- فهرس الأماكن والبلدان
- فهرس المحتويات

المصادر والمراجع

أولاً : الكتب :

- ١ - ابن صارة الأندلسي ، حياته وشعره (ت ٥١٧ هـ) / الدكتور مصطفى عوض الكريم - ط . مصر ، الخرطوم . د.ت .
- ٢ - الإحاطة في أخبار غرناطة / لسان الدين ابن الخطيب (ت ٧٧٦ هـ) - ط ٤ - . القاهرة : مؤسسة الخانجي ، ١٩٧٣ م .
- ٣ - الأدب الأندلسي في عصر الموحدين ، الدكتور حكمة علي الأوسي - . القاهرة : مكتبة الخانجي ، ١٩٧٦ م .
- ٤ - أدب الرحلة عند العرب / الدكتور حسني محمود حسني - . القاهرة : المكتبة الثقافية ، رقم ٣٣٥ ، ١٩٧٦ م .
- ٥ - أعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم ، الدكتور عبدالرحمن حميدة - . دمشق : ١٩٦٩ م .
- ٦ - إفادة النصيح في التعريف بسند الجامع الصحيح / ابن رشيد السبتي الفهري ؛ تحقيق الحبيب بن الخوجة - . تونس : الدار التونسية للنشر ، د.ت .
- ٧ - ألف باء / أبوالحجاج يوسف بن محمد البلوي (ت ٦٠٤ هـ) ، - ط - الوهبة بالقاهرة : ١٢٨٧ هـ .
- ٨ - أنوار الربيع في أنواع البديع / علي صدر الدين بن معصوم المدني (ت ١١٢٠ هـ) ؛ تحقيق شاكر هادي شكر طه النعمان - . العراق : النجف ، ١٩٦٩ م .
- ٩ - إيضاح المكنون / إسماعيل باشا ج ١ - . طهران : المكتبة الإسلامية

والجعفري تبريزي : ١٩٤٧م .

١٠ - بدائع البدائ / ابن ظافر الأزدي (ت ٦٤٣ هـ) : تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . ط ١ . - القاهرة : الأنجلو المصرية ، ١٩٧٠م .

١١ - التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة / الدكتور عبدالرحمن الحجي . ط ١ . - دمشق : دار القلم ، ١٩٧٦م .

١٢ - تاريخ الأدب الجغرافي والجغرافيين / كراتشكوفسكي ج ١-٢ : ترجمة صلاح الدين عثمان . - القاهرة : لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٥٧م .

١٣ - تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس / الدكتور حسين مؤنس . ط ١ . - القاهرة : دار النهضة المصرية ، ١٩٥٥م .

١٤ - تاريخ الموسيقى العربية / هـ ، ج فارمر : ترجمة الدكتور حسين نصار ؛ مراجعة الدكتور عبدالعزيز الأهواني . - القاهرة : مكتبة مصر بالفجالة د.ت .

١٥ - التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية / مجموعة من المستشرقين ؛ ترجمة عبدالرحمن بدوي . - ط ٤ . - بيروت : دار القلم ، د.ت .

١٦ - تراجم رجال القرنين السادس والسابع (ذيل الروضتين) / أبو شامة المقدسي (ت ٦٦٥ هـ) ، طبعة بيروت . د.ت .

١٧ - التعريفات / أبو الحسن الجرجاني (ت ٨١٦ هـ) . - القاهرة : مصطفى البابي الحلبي ، ١٩٣٨م .

١٨ - التكملة لكتاب الصلة / ابن الأبار البلبسي (ت ٦٥٩ هـ) ، ط العطار . ١٩٥٥م .

١٩ - التكملة لوفيات النقلة / أبو محمد المنذري (ت ٦٥٦ هـ) ج ١ - ٨ :

- تحقيق الدكتور بشار عواد معروف . - ط الآداب ، النجف : ١٩٧١ م .
- ٢٠ - جذوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام بفاس / أحمد بن القاضي
المكناسي (ت ١٠٢٥ هـ) . - المغرب : دار المنصور للطباعة
والوراقة ، ١٩٧٤ م .
- ٢١ - جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى / ابن عاصم الغرناطي (ت
٨٥٧ هـ) تح . د . صلاح جرار . - عمان : دار البشير ، ١٩٨٩ م .
- ٢٢ - جهود المسلمين في الجغرافية / أحمد نفيس ؛ ترجمة فتحي عثمان ،
سلسلة الألف كتاب ٢٧٢ . - القاهرة : دار القلم ، د . ت .
- ٢٣ - الحلل السندسية في الأخبار التونسية / الوزير السراج الأندلسي (ت
١١٤٩ هـ) ؛ تحقيق محمد الحبيب الهيلة . - تونس : الدار التونسية
للنشر ، ١٩٧٠ م .
- ٢٤ - الحلل السندسية / شكيب أرسلان . - بيروت : دار مكتبة الحياة ، د . ت .
- ٢٥ - دائرة المعارف الإسلامية / مجموعة من المستشرقين ؛ ترجمة
محمد الفندي - أحمد الشنتناوي - إبراهيم خورشيد ، ١٩٣٣ م .
- ٢٦ - ديوان ابن رشيق القيرواني ؛ جمع وتحقيق : عبدالرحمن ياغي . -
بيروت : دار الثقافة . د . ت .
- ٢٧ - الذيل والتكملة / ابن عبدالملك المراكشي (ت ٧٠ هـ)
السفر الأول بقسمين ، تحقيق محمد بن شريفة دار الثقافة . - بيروت .
بقية السفر الرابع ؛ تحقيق د . إحسان عباس . - بيروت : ١٩٦٤ م .
السفر الخامس بقسمين ؛ تحقيق د . إحسان عباس . - بيروت : ١٩٦٥ م .
السفر السادس ؛ تحقيق د . إحسان عباس . - بيروت : ١٩٦٥ م .
- ٢٨ - الرحالة المسلمون في القرون الوسطى / الدكتور زكي محمد حسن

٠ - القاهرة : دار المعارف ، ١٩٦٥ م .

٢٩ - رحلة ابن جبیر / تحقيق الدكتور حسين نصار ٠ - القاهرة : مكتبة مصر ، ١٩٥٥ م .

٣٠ - رحلة ابن جبیر ؛ تقديم محمد مصطفى زیادة ٠ - القاهرة : دار التحرير ، ١٩٦٨ م .

٣١ - رحلة العبدري المسماة الرحلة المغربية / العبدري (ت ٦٨٨ هـ) ؛ تحقيق محمد الفاسي - سلسلة الرحلات - ٤ حجازية ١ ، المغرب ، د.ت .

٣٢ - رحلة العبدري / العبدري ٠ - ط البعث ، قسطنطينة - كلية الآداب ، الجزائر د.ت .

٣٣ - الرحلات / الدكتور شوقي ضيف ، سلسلة فنون الأدب العربي ، الفن القصصي ٠ - ط ٢ ٠ - القاهرة : دار المعارف ، ١٩٥٦ م .

٣٤ - الروضتين في أخبار الدولتين / شهاب الدين أبو شامة المقدسي (ت ٦٦٥ هـ) ٠ - بيروت : دار الجیل ٠ - ط وادي النيل ، القاهرة : ١٢٨٨ هـ .

٣٥ - زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر / صفوان بن إدريس التّجیبی (ت ٥٩٨ هـ) ٠ - بيروت : دار الرائد العربي ، ١٩٧٠ م .

٣٦ - السحر والشعر / لسان الدين بن الخطيب (ت ٧٧٦ هـ) ؛ تحقيق عمار إبراهيم قدور ، رسالة ماجستير في جامعة عين شمس ٠ - القاهرة : ١٩٧٥ م .

٣٧ - سنن أبي داود / أبو داود الأزدي السجستاني ٠ - القاهرة : مطبعة البابي الحلبي ، ١٩٥٢ م .

٣٨ - سير أعلام النبلاء / الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) ؛ تحقيق د. محيي هلال

- السرحان و د. بشار عواد - بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٥ م .
- ٣٩ - شذرات الذهب / ابن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩ هـ) - بيروت : المكتب التجاري .
- ٤٠ - الشعر في عهد المرابطين والموحدين / الدكتور محمد مجيد السعيد ، أطروحة دكتوراه ، جامعة القاهرة : ١٩٧٧ م .
- ٤١ - صحيح البخاري / البخاري - القاهرة : مطبعة محمد علي صبيح وأولاده .
- ٤٢ - صحيح مسلم / مسلم - القاهرة : دار إحياء الكتب العربية ، ١٩٥٥ م .
- ٤٣ - طبقات الشافعية الكبرى / تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب السبكي (ت ٧٧١ هـ) - القاهرة : المطبعة الحسينية ، ١٣٢٤ هـ .
- ٤٤ - عقود الجمان / ابن الشعار الموصلي (ت ٦٥٤ هـ) : مصورة معهد المخطوطات العربية بالقاهرة : رقم ٣٣٩ (د. ت) .
- ٤٥ - عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية / أبو العباس أحمد الغبريني (ت ٧١٤ هـ) : تحقيق عادل نويهض - بيروت : لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٦٩ م .
- ٤٦ - غاية النهاية / ابن الجزري (ت ٨٣٣ هـ) ج ١-٢ نشره ج . برجستراسر - القاهرة : مكتبة الخانجي ، ١٩٣٣ م .
- ٤٧ - غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائص الفاضحة / أبو إسحاق برهان الدين محمد بن إبراهيم الوطواط (ت ٧١٨ هـ) بهامشه كتاب عين الأدب والسياسة وزين الحسب والرئاسة ، لأبي الحسن علي بن هذيل - القاهرة : ١٣١٨ هـ .
- ٤٨ - غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائص الفاضحة / أبو إسحاق برهان

- الدين محمد بن إبراهيم الكتبي المعروف بالوطواط (ت ٧١٨ هـ) .
- ٤٩ - في التاريخ العباسي والفاطمي / الدكتور أحمد مختار العبادي -
بيروت : دار النهضة ، ١٩٧١ م .
- ٥٠ - فوات الوفيات / ابن شاعر الكتبي (ت ٧٦٤ هـ) ج ١-٤ : تحقيق
الدكتور إحسان عباس - بيروت : دار الثقافة ، ١٩٧٤ م .
- ٥١ - قدماء ومعاصرون / الدكتور سامي الدهان - القاهرة : دار المعارف ،
١٩٦١ م .
- ٥٢ - قصة يوسف (مخطوط) / أبو القاسم عبدالرحمن السهيلي (ت
٥٨١ هـ) ، مصورة الآنسة زاهدة عبدالله محبي عن الخزانة العامة
برباط الفتح رقم ١٧٥ .
- ٥٣ - كشف الظنون / حاجي خليفة الكاتب الجلبلي (ت ١٠٦٧ هـ) - ط
الإسلامية - طهران : ١٩٤٧ م .
- ٥٤ - ملح السحر من روح الشعر ودوح الشعر / أبو عثمان سعيد بن ليون
التجيبلي (ت ٧٥٠ هـ) ، { وهو مختصر روح الشعر وروح ودوح الشعر
لابن الجلاب الفهري (ت ٦٦٤ هـ) ، المكتبة الملكية بالرباط رقم
٧٧ } .
- ٥٥ - مجمع الأمثال / الميداني (ت ٥١٨ هـ) ج ١-٢ : تحقيق محمد محبي
الدين عبدالحميد - ط ٣ - بيروت : دار الفكر ، ١٩٧٢ م .
- ٥٦ - مختارات من أدب العرب / أبو الحسن الندوي : تعليق أبو الفضل
البلياوي - ط ٣ - جدة : دار الشروق ، ١٩٨٦ م .
- ٥٧ - مختارات من الشعر المغربي والأندلسي : تحقيق إبراهيم بن مراد -
بيروت : دار الغرب الإسلامي .

- ٥٨ - المستقصى في أمثال العرب / الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) ؛ تحقيق الدكتور محمد عبدالمعيد خان . - حيدر آباد : الهند : المطبعة العثمانية ١٩٦٢ م .
- ٥٩ - مطالع البدور في منازل السرور / علاء الدين البهائي الغزولي . - القاهرة : إدارة الوطن ، ١٢٩٩ هـ .
- ٦٠ - معرفة القراء الكبار / الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) ؛ تحقيق سيد جاد الحق ، . - ط ١ - القاهرة : دار الكتب الحديثة ، د.ت .
- ٦١ - المغرب في حلى المغرب / ستة من بني سعيد آخرهم علي بن موسى (ت ٦٨٥ هـ) ج ١ - ٢ ؛ تحقيق الدكتور شوقي ضيف . - القاهرة : دار المعارف ، ١٩٦٤ م .
- ٦٢ - المقتضب من كتاب تحفة القادم / ابن الأثير القضاي (ت ٦٥٨ هـ) ، اختبار أبي إسحاق البليقي ؛ تحقيق إبراهيم الأبياري . - القاهرة : المطبعة الأميرية ، ١٩٥٧ م .
- ٦٣ - النجوم الزاهرة / ابن تغري بردي الأتابكي (ت ٨٧٤ هـ) . - القاهرة : المؤسسة المصرية العامة ، د.ت .
- ٦٤ - نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب / المقري التلمساني (ت ١٠٤١ هـ) ؛ تحقيق الدكتور إحسان عباس . - ط ١ - بيروت : دار صادر ، ١٩٦٨ م .
- ٦٥ - النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب / الدكتور جمال الدين سرور . - ط ٤ - القاهرة : دار الفكر العربي ، ١٩٦٤ م .
- ٦٦ - نيل الابتهاج بتطريز الديباج / أحمد بابا التمبكتي (ت ١٠٣٦ هـ) ، بهامش كتاب الديباج المذهب لابن فرحون . - القاهرة : ١٣٥٦ هـ .

ثانياً : الدوريات :

٦٧ - تراث الإنسانية ، المجلد (١) ، ص ٢٣٨ .

رحلة ابن جبير ، الدكتور حسين نصار .

٦٨ - الثقافة العربية ، ليبيا ، العدد ٩ ، ص ٢٩ .

أدب الرحلات في الإسلام .

فهرس الأشعار

رقم القطعة	صدر البيت	القافية	البحر	عدد الآيات
١	خليفة الله دم للمدين محرسه	فئة	البسيط	٢
٢	يا مهدي الموزتبقى	فاء	المجتث	٢
٣	صحب الزمان وقابلته	نابا	المتقارب	٣
٤	أقصر عن الغي كم ذا	وتأبى	المجتث	٢
٥	ينيل المرء تبصرة وذكرى	وشابا	الوافر	٢
٦	سقى الله باب الطاق صوب غمامه	غريب	الطويل	١
٧	بسبتة لي سكن في الثرى	أتى	المتقارب	٢
٨	لي صديق خسرت فيه ودادي	ربعا	الخفيف	٢
٩	إلى الله أشكو ما تكن الجوانح	الجوارح	الطويل	٣
١٠	قد أحدث الناس أمورا فلا	ناصر	السريع	٢
١١	يا من حواه الدين في عصره	فؤاد	السريع	٧
١٢	يا خير مولى دعاه عبد	اجتهاده	مخلع البسيط	٢
١٣	تأن في الأمر لا تكن عجلا	كادا	المنسرح	٤
١٤	سكان وادي العتيق شوقي	زادا	مخلع البسيط	٤
١٥	لم تلزم الرشدة يابن رشدة	جدا	مخلع البسيط	٢
١٦	يا رشا حظي إبعاده	إسعاده	السريع	٣
١٧	أفقيهننا المستن ديناً والذي	شواهد	الكامل	٣
١٨	بني الإسلام جدوا في الجهاد	الحداد	الوافر	٧
١٩	إلينا اقصدوا يا معشر الركب إننا	وفود	الطويل	١٠
٢٠	صبرت على غدر الزمان وحقه	بشده	الطويل	١١

رقم القطعة	صدر البيت	القافية	البحر	عدد الآيات
٢١	قَدْ ثَبَتَ الْغَيَّ فِي الْعِبَادِ	والفساد	مخلع البسيط	٤
٢١	إِذَا أَزْنِي بِحَسَنِ الْعَهْدِ	البعاد	الوافر	٢
٢٢	صُنَّ الْعَقْلُ عَنْ لَحْظَةٍ فِي هَوَى	البصر	المتقارب	٢
٢٣	خَلَعْتُ الْعِذَارَ بِشَيْبِ الْعِذَارِ	اعتذار	المتقارب	١١
٢٤	يَحْسِبُ النَّاسُ بَأْنِي مُتَعَبٌ	الورى	الرممل	٣
٢٥	مَنْ اللَّهُ فَاسْأَلْ كُلَّ شَيْءٍ تَرِيدُهُ	ولا ضراً	الطويل	٣
٢٦	أَحَبُّ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى وَابْنُ عَمِّهِ	الزهرا	الطويل	٦
٢٧	يَا أَهْلَ طَيْبَةِ قَلْبِي	جارا	المجتث	٤
٢٨	أَقُولُ وَأَنْسَتْ بِاللَّيْلِ نَارًا	أنارا	المتقارب	٣٣
٢٩	هَنِيئًا لِمَنْ حَجَّ بَيْتَ الْهَدَى	أوزارها	المتقارب	٢
٣٠	مَنْ كَبُرَتْ عَنْ قَدْرِهِ خُطْئُهُ	الكبر	السريع	٥
٣١	أَمَّا فِي الدَّهْرِ مُعْتَبِرٌ	الكدر	مجزوء الوافر	٤
٣٢	يَعِزُّ عَلَيْنَا أَنْ يَقْصُرَ بِالْعَلَا	يقصر	الطويل	٢
٣٣	قَدْ ظَهَرَتْ فِي عَصْرِنَا فَرْقَةٌ	العصر	السريع	٢
٣٤	رَبِّ إِنْ لَمْ تُؤْتِنِي سَعَةً	العمر	المديد	٣
٣٥	زِيَادَةُ حَسَنِ الصَّوْتِ فِي الْخَلْقِ زِينَةٌ	المحبر	الطويل	١١
٣٦	أَرَاكَ مِنَ الْحَيَاةِ عَلَى اغْتِرَارٍ	بدار	الوافر	٢
٣٧	وَإِنِّي لِأَوْثَرُ مِنْ أَصْطَفِي	العائر	المتقارب	٢
٣٨	أَطْلُكُ عَلَى أَفْسَقِكَ الزَّاهِرِ	الدائر	المتقارب	٥٦
٣٩	أَيُّهَا الْمُسْتَطِيلُ بِالْبَغْيِ أَقْصَرُ	الرؤوسا	الخفيف	٢
٤٠	لَوْ كُنْتُ تَبَصَّرْتُ مِنْذُ يَوْمٍ قَدْ نَأَى	مجلس	الكامل	٢
٤١	لِي نَحْوُ أَرْضِ الْمُنَى مِنْ شَرْقِ أُنْدُلُسٍ	والقبس	البسيط	١١
٤٢	أَبَا عَمْرَانَ قَدْ خَلَفْتَ قَلْبِي	للوديعة	الوافر	٢

رقم القطعة	صدر البيت	القافية	البحر	عدد الآيات
٤٣	ضَلَّتْ بِأَفْعَالِهَا الشَّيْعَةَ	الشرعية	مخلع البسيط	٢
٤٤	عَجِبْتَ لِلْمَرْءِ فِي دُنْيَاهُ تَطْمَعُهُ	يقطعه	البسيط	٦
٤٥	أَقُولُ وَقَدْ حَانَ الْوَدَاعُ وَأَسْلَمْتُ	ومدام	الطويل	٢
٤٦	الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى نَصْرِهِ	وأشباعه	السريع	٤
٤٧	الآنَ قَدْ أَيْقَنَ ابْنُ رَشَدٍ	توالت	مخلع البسيط	٢
٤٨	سَلَامٌ كَأَزْهَارِ الرَّبِيعِ نَضَارَةٌ	صفا	الطويل	٣
٤٩	يَا وَحِشَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ فِرْقَةٍ	بالسفه	السريع	٢
٥٠	قَلَمٌ بِهِ الْإِقْلِيمُ أَصْبَحَ فِي حِمَى	يصرف	الكامل	٧
٥١	خَلِيفَةُ اللَّهِ أَنْتَ حَقًّا	مرقى	مخلع البسيط	٧
٥٢	عَلَيْكَ بِكَتْمَانِ الْمَصَائِبِ وَاصْطَبِرْ	شفيقاً	الطويل	٢
٥٣	نَفِذَ الْقَضَاءُ بِأَخْذِ كُلِّ مُتَوَهِّجٍ	متزندق	الكامل	٢
٥٤	وَصَعْدَةُ لِبَسْتِ سِرْيَالٍ مُشْتَهَرٍ	والأرق	البسيط	٢
٥٥	لَا يَسْتَوِي شَرْقُ الْبِلَادِ وَغَرْبُهَا	باسترقاق	الكامل	٤
٥٦	أَخْلَاءُ هَذَا الزَّمَانِ الْخَوْنُ	العلل	المتقارب	٤
٥٧	إِذَا بَلَغَ الْمَرْءُ أَرْضَ الْحِجَازِ	ما أمّله	المتقارب	٢
٥٨	لَأَشْيَاعِ الْفَلَاسِفَةِ اعْتِقَادِ	انحلالاً	الوافر	٤
٥٩	إِيَّاكَ وَالشَّهْرَةَ فِي مَلْبَسِ	أسمالها	السريع	٢
٦٠	بَلَغْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَدَى الْمُنَى	نؤمل	الطويل	٨
٦٠	مَوْلَايَ إِنِّي بِحَالِ شَوْقٍ	يحول	مخلع السريع	٣
٦١	وَكَمْ فَلَاتَاتِ لِلصَّنَائِعِ تَتَقَى	محلها	الطويل	٢
٦٢	النَّاسُ مِثْلُ ظُرُوفٍ حَشَوْهَا صَبْرٌ	العسل	البسيط	٢
٦٣	لِصَّنَائِعِ الْمَعْرُوفِ فَلْتُهُ غَافِلٌ	قابل	الكامل	٢
٦٤	لَعَلَّ بِشِيرِ الرِّضَى وَالْقَبُولِ	الخليل	المتقارب	١

رقم القطعة	صدر البيت	القافية	البحر	عدد الآيات
٦٥	بلغت المنى وحللت الحرم	الهرم	المتقارب	١٢
٦٦	قالوا الحبيب شكا جعلت فداه	كالعندم	الكامل	٢
٦٧	صلاح الدين أنت له نظام	انقصام	الوافر	٦٠
٦٨	أقول وقد دعا للخير داع	المستهام	الوافر	٥٠
٦٩	يا وفود الله فزتم بالمنى	منى	الرميل	١٥
٧٠	غريب تذكّر أوطانه	أشجانه	المتقارب	٣٠
٧١	شهدنا صلاة العيد في أرض غربة	بانوا	الطويل	٢٠
٧٢	بيان المرء بالإكثار عيب	للبيان	الوافر	٢
٧٣	يا رب هب لي	التمني	مخلع البسيط	٢
٧٤	قل إذا جئت مجلساً	مه	مجزوء الخفيف	٢
٧٥	تنزه عن العوراء مهما سمعتها	أشبه	الطويل	٢
٧٦	يا زائراً لم يقض أن ألقاه	أهواه	الكامل	٧
٧٧	قل للزناديق عني	أمضيه	المجستث	١٠
٧٨	طول اغتراب ورح شوق	عليه	مخلع البسيط	٦
٧٩	بدت لي أعلام بيت الهدى	عليه	المتقارب	٢
٨٠	طال شوقي إلى بقاع ثلاث	إليها	الخفيف	٣
٨١	يا دمشق الغرب هاتيك	عليها	مجزوء الرمل	٢
٨٢	الدين يشكو بليته	منطقيته	المجستث	٤
٨٣	سـيـكـون الـذي قـُـضِيَ	رَضِيَ	مجزوء الخفيف	٣
٨٤	لا تغترب عن وطن	النوى	مجزوء الرجز	٢
٨٥	ألا إن هذا الدهر	سبت	الطويل	٢

فهرس نشوه

- ١ - نموذج من رحلته .
- ٢ - رسالة كتبها إلى الشام لشيخ الشيوخ ابن حمويه مجيباً على رسالة له .
- ٣ - رسالة كتبها لابن حمويه شافعاً في رجل .
- ٤ - رسالة كتبها لابن حمويه متشوقاً وشافعاً .
- ٥ - رسالة وعظية .
- ٦ - رسالة وعظية (أخرى) .
- ٧ - ١٠ حكم وأقوال بليغة .

فهرس الأعلام

« ابن »

- ابن الأبار ، ابو عبدالله ٥٧ ، ٥٨
ابن أبي العيش ، أبو الحسن علي ٣٤
ابن الأصيلي ٣٤
ابن بابا التنكي ٥٩ ، ٦٤
ابن بطوطة ٤٨ ، ٧
ابن جبير ، عبدالسلام ٣٣
ابن الجزري ٣٣
ابن جعفر ، عبدالله ٨٢ ، ١٠٩
ابن الجوزي ٥٥ ، ٨١ ، ١٣٩
ابن حزم الأندلسي ٧٧
ابن حمويه ٥٣ ، ٥٤ ، ٩٩ ، ١١٧ ، ١٤٣
ابن الخطيب ٣٩ ، ٤٨ ، ٥٩ ، ٦٣
ابن خفاجة ١٠ ، ٨٢
ابن خلدون ٢٢
ابن رشد ٢٠ ، ٤٥ ، ٧٣ ، ٧٥ ، ٨٣ ، ٩٨ ، ١١٧ ، ١١٩ ، ١٢٠
ابن الزقاق البلنسي ٨٢
ابن زهر الحفيد ٣٥
ابن زيدون ١٠ ، ٣٦ ، ٨٢
ابن سعادة ، محمد بن يوسف ١٠٢
ابن سعيد ، علي بن موسى ٣٦ ، ٦٣
ابن سعيد ، ابو جعفر ٣٥ ، ٧٧
ابن سهل الاسرائيلي ٣٦
ابن سينا
ابن الشعار الموصللي ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٦٣
ابن الشقر ، أبو عمرو ١٦ ، ٨٦ ، ١٣٦
ابن العاص ، عمرو (رضي الله عنه) ٣٥

ابن عبدالمؤمن ، أبو سعيد عثمان ٥٣ ، ٤٢ ، ٤١ ، ٣٥
 ابن عبدالمؤمن ، يعقوب المنصور ١١٩ ، ٦٧ ، ٣٥
 ابن عبدالمملك المراكشي ٣٩ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٥٢ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٦٠ ، ٦٣ ، ٦٨ ، ٧١ ، ٧٣ .
 ابن العربي ، أبو بكر ٤٥
 ابن عربي ، محيي الدين ٣٦
 ابن عساكر ، أبو محمد ٣٤
 ابن العميد ٥٤
 ابن أبي العيش ، أبو الحسن علي ٣٤
 ابن القاضي ٥٩ ، ٦٤ ، ٦٥
 ابن القوطية ٨١
 ابن اللبانة ١٠ ، ٨٢
 ابن ليون التجيبي ٥٩ ، ٦٤ ، ٦٥
 ابن مالك ١١
 ابن معصوم المدني ٦٤
 ابن مقصير ، أبو الحسن ٤٦ ، ٤٧
 ابن هذيل ، يحيى ٨١
 ابن يسعون ، أبو الحجاج يوسف ٣٤

« ا ب »

أبو إسحاق الصائبي ٥٤
 أبو بكر السلاوي ٧٦
 أبو بكر الصولي ٣٥ ، ٥٨ ، ٦٠ ، ٨٢
 أبو تمام ، حبيب بن أوس ٥٨ ، ٦٠ ، ٦٢
 أبو تمام ، غالب بن محمد الأنصاري ٤١ ، ٥٧ ، ٦٢
 أبو الحسن الشاري ٤٧
 أبو الحسن علي الندوي ٥١
 أبو الحسين علي القرشي ٣٤ ، ٤٢
 أبو شامة المقدسي ٦٣
 أبو العلاء المعري ٧١
 أبو عمرو بن الأشقر ٤١ ، ٩٧

أبو عمران المارثلي ٤١ ، ٧٧ ، ١١٥
أبو القاسم عبداللطيف بن محمد الحنجلي ٧٠ ، ٩٦
أبو محمد عبدالحالق المسكي ٨١
أبو محمد المنذري ٣٤ ، ٣٩

« أ ب ت »

إقبال ، محمد ١٦
إسرافيل ١١١
أنيس ، د. ابراهيم ٨٤
الأوسي ، د. حكمة ٩٠
الأيوبيون ٦٨
البحاثي ، أبو محمد علي ٧١ ، ٧٨
البدرى الدمشقي ، عبد الله بن محمد ٤٨
البلوي ، خالد بن عيسى ٤٨ ، ٥٨ ، ٦٣
بالنشيا ٣٥
البلنسي ، الرصافي ٣٥ ، ٨٦ ، ١٠٨ ، ١١٠
بلج بن بشير القشيري ٣٣
البوصيري ١٦

« ج ح ذ ر »

الجاحظ ٥٤
جهينة ٨٦
حاجي خليفة ٣٣
الحسن (رضي الله عنه) ٨٦
حفصة الركونية ٣٦
حميدة ، عبدالرحمن ٤٨
داود (عليه السلام) ١١١
الدهان ، د. سامي ٤٩
الذهبي ٥٩ ، ٦٤ ، ٦٥
رشيد ، ناظم ٢٩
الرصافي البلنسي ٣٥ ، ٨٢ ، ١٠١
الرفاعي ، عبدالعزيز ٢٩

« س ش ص ض »

- السراج ، الوزير ٦٠
سلمان الفارسي ٩٧
الشافعي ١١ ، ١٠
الشريشي ، أحمد عبدالمؤمن ٤٨ ، ٣٤
الشقندي ٧٧
الصدر الحنندي ، عبداللطيف ٨٥
صفوان بن إدريس التجيبي ٦٥ ، ٦٠
صلاح الدين الأيوبي (الناصر) ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٤ ، ٣٥ ، ٤٦ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ١١٠ ، ١٢٦
ضيف ، د. شوقي ٣٤

« ع هـ »

- عاتكة ، أم المجد ٤٦ ، ٥٨ ، ٨١
عبدالحالق ، أبو محمد ٢٣ ، ٣٢ ، ٣٥ ، ٥٤ ، ٥٧
العبدري ٤٨ ، ٦٠ ، ٥٨ ، ٦٣ ، ٨٢ ، ٨٦
علي بن أبي طالب (رض) ٧٥
علي القرشي ، أبو الحسين ١٠
عمر بن الخطاب (رض) - العمران ٧٦
عمرو بن العاص ٣٤
الغافقي ، محمد بن أبو بكر بن محمد بن عقيل ٥٩
الغبريني ٥٩ ، ٦٣ ، ٦٥
الغزالي ٢٢

« ف ق ك »

- الفاسي ٤٨
الفارسي ، سلمان ٩٤
الفارابي ، أبو نصر ٧٣
فاطمة (رضي الله عنها) ٧٥

قارون ١٨، ٨٥، ١١٤

القاضي الفاضل ٥٥

القشيري، ابن بشر ٣٣

القرشي، الحافظ أبو الحسين ٣٤

كراتشكوفسكي ٤٦

الكتاني ٣٣

« م »

مؤنس، د. حسين ٤٧

المتنبي ١١

محمد المصطفى (ﷺ) ٧٥، ٧٦، ٧٨، ١٠٠

محمد بن محمد بن عقيون الغافقي ٣١

مدغليس، أبو عبد الله بن الحجاج ٤٢

المرتضى ٩٦

المقري أبو عباس ٤٢، ٤٨، ٥٩، ٦٠، ٦٤، ٦٨، ٧٠

المقريزي ٤٨

المنذري، الحافظ أبو محمد ٣٤، ٣٩

منصور الفقيه ٨٢

المنصور بن عبد المؤمن

الموحدي ٢١، ٦٢، ٦٧، ٧٠، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٩٣، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٥

موسى (عليه السلام) ١٨، ٨٥، ١١٤

« ن »

ناظم رشيد ٢٩

نصار، د. حسين ٤٩

الوزير السراج ٦٥

الوطواط ٦١، ٦٥

ولادة بنت المستكفي ٣٦

يعقوب، ابن عبد المؤمن ٦٩

يوسف بن يسعون ٣٤

فهرس الأماكن والبلدان

(أ-ب)

أقريطش ٥١

الاسكندرية ٣٤ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٥٠ ، ٥٣ ، ٩٧ ، ١١٧ ، ١٣٢ ، ١٤٤

اسبانية ٣٥

أشبيلية ٤١ ، ١١٥

الأندلس ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٩ ، ٤٥ ، ٤٧ ، ٧٣ ، ٨٣ ، ١١٤

باكستان ١٦

بغداد ٣٤ ، ٩٤ ، ١٣٥ ، ١٣٩

بلنسية ٤١

البيت الحرام ٧٥ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٤

(ج-ز)

جدة ٥١

جزيرة العرب ٩

جيان ٣٣

الحجاز ٦٨ ، ٦٩ ، ٨٢ ، ٨٤ ، ١٠٩ ، ١١٢ ، ١٢١ ، ١٢٨

حران ٣٤

الحيف ١٢٨

دانية ٧٧ ، ١١٢

دجلة ٩٤

دمشق ٣٤ ، ٥٠ ، ٧٧ ، ٩٣ ، ١٣٤

زمزم ٧٥ ، ١٢٩

زيران - (قرية) ٩٤

(س-ك)

سبتة ٤١ ، ٤٥ ، ٧٨

سيدي جابر (حي في الاسكندرية) ٣٤

شاطية ٩ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٧٠ ، ١١٣ ، ١٣١ ، ١٤٦

الشام ٩ ، ٥٣ ، ٦٩ ، ١١١ ، ١٢٨ ، ١٤٣ .

صقلية ٥١

صول ٥١

طنقة (قرية) ١٣١

طيبة ٧٥ ، ٧٦ ، ٨١ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٩ ، ١٢٩ .

العراق ٩

عرفات ٧٥ ، ٧٦ ، ١٢٩

العقيق ٩٧

عذاب ٤٠ ، ٥١

غرناطة ٣٣ ، ٤١ ، ٤٣ ، ٤٥ ، ٥٣ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ١٣٣ ، ١٣٤

فاس ٤٦

فلسطين ٩

القاهرة ٩٣

القدس (القدس) ٢٠ ، ٢٤ ، ٣٥ ، ٤٦ ، ٦٩ ، ٩٩ ، ١١١ ، ١٣٧

الكعبة ١٢٨

كنانة ٣٣

(م)

المدينة ١٥ ، ٢١ ، ٦٨ ، ٧٠ ، ٧٧ ، ٨٢ ، ٨٤ ، ١٠٧ ، ١٢٦ ، ١٢٩ ، ١٣١

المسجد الأقصى ٤٧

مصر ٩ ، ١٦ ، ٦٩ ، ٧٧ ، ٨١ ، ١٢٨ ، ١٣١

المغرب ٧ ، ٩ ، ١٦ ، ٢٥ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ١٣٢

مكة ٣٤ ، ٧٥ ، ١٢٥ ، ١٢٩ ، ١٣٤

منى ٧٥ ، ١٢٩

وادي العقيق ٧٦ ، ٨٣ ، ٩٧

يشرب ٧٦

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٧	التقديم
٢٧	المقدمة
٣١	القسم الأول : الدراسة
٣٣	١ - حياته وعصره
٣٩	٢ - شخصيته وأخلاقه
٤٣	٣ - رحلته ونثره
٥٥	٤ - ديوانه ومصادر شعره
٦٥	٥ - موضوعات شعره :
٦٧	أ - المديح
٧٠	ب - النقد الاجتماعي والشكوى من الزمان
٧٣	ج - نقد الفلاسفة وهجاؤهم
٧٥	د - الشوق والحنين
٧٩	٦ - السمات الفنية في شعره
٩١	القسم الثاني : التحقيق
٩٣	١ - ديوانه مرتباً على الحروف
١٣٧	٢ - ما وصل إلينا من نثره
١٤٩	الفهارس
١٥١	١ - فهرس المصادر والمراجع
١٥٩	٢ - فهرس الأشعار
١٦٣	٣ - فهرس نثره
١٦٤	٤ - فهرس الأعلام
١٦٩	٥ - فهرس الأماكن والبلدان

المؤلف في سطور الدكتور منجد مصطفى بهجت

- ولد في كركوك - العراق - سنة ١٩٤٧ م ، متزوج وله ستة أبناء .
- حصل على البكالوريوس في الآداب - كلية التربية جامعة بغداد ، عام ١٩٦٨ م.
- حصل على درجة الماجستير من كلية اللغة العربية - جامعة الأزهر - بالقاهرة عام ١٩٧٣ م .
- حصل على درجة الدكتوراه من كلية اللغة العربية - جامعة الأزهر بالقاهرة سنة ١٩٨٢ م .
- عمل أستاذاً للأدب والنقد في جامعتي الموصل وصنعاء منذ عام ١٩٧٦ م .
- التحق بالجامعة الإسلامية العالمية - ماليزيا عام ١٩٩٤ م .

الكتب والمؤلفات :

- ١ - ديوان ابن اللبانة الأندلسي - دراسة وتحقيق - وهي الرسالة التكميلية للماجستير عام ١٩٧٣ م (غير منشور) .
- ٢ - الاتجاه الإسلامي في الشعر الأندلسي في عهدي ملوك الطوائف والمرابطين ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٦ م . (رسالة الدكتوراه)
- ٣ - البحر في شعر الأندلس والمغرب في عصر الطوائف والمرابطين - حوليات جامعة الكويت - الحولية السابعة - ١٩٨٦ م .
- ٤ - روضة المحاسن وعمدة المحاسن وفصول من كتاب بادرة العصر وفائدة المصير ، لأبي بكر يحيى الجزار السرقسطي ، دراسة وتحقيق - بغداد : المجمع العلمي العراقي ، ١٩٨٨ م .
- ٥ - الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة - دار الكتب بجامعة الموصل ، ١٩٨٨ م .
- ٦ - ديوان ابن الجنان الأنصاري الأندلسي - شاعر المديح النبوي في القرن السابع الهجري ، جمع وتحقيق ودراسة - ط. التعليم العالي ، الموصل ، ١٩٩٠ م .

- ٧ - قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان المشهور بعقود الجمان لكمال الدين أبي البركات بن الشعار الموصل (ت ٦٥٤ هـ) تحقيق الجزء السادس بالاشتراك مع د. ناظم رشيد ، الموصل (قيد الطبع) .
- ٨ - ديون الرحالة ابن جبير الأندلسي ، وما تبقى من نثره ، جمع وتحقيق ودراسة - دار الرفاعي للنشر والتوزيع ، الرياض ، ١٩٩٩ م .

البحوث والدراسات في المجلات الأكاديمية :

- له أكثر من خمسة وعشرين إسهاماً أدبياً بين بحث ، ودراسة ، ومقالة في الدوريات العربية المختلفة مثل :
- مجلة آداب الرافدين الصادرة عن كلية الآداب جامعة الموصل .
 - ومجلة آداب المستنصرية الصادرة عن كلية الآداب جامعة المستنصرية ببغداد .
 - مجلة الرسالة الإسلامية الصادرة عن وزارة الأوقاف والشؤون الدينية ببغداد .
 - مجلة اتحاد الجامعات العربية بعمّان .
 - مجلة مجمع اللغة العربية الأردني .
 - مجلة آفاق جامعية الصادرة عن جامعة السليمانية بالعراق .
 - مجلة الجامعة ، الصادرة عن جامعة الموصل .
 - مجلة معهد المخطوطات العربية بالكويت .
 - مجلة دعوة الحق بالمغرب .
 - دراسات أندلسية بتونس .
 - مجلة عالم الكتب بالرياض .
 - مجلة المورد ببغداد .
 - بحوث أخرى مقدمة إلى عدة مؤسسات ثقافية ومؤتمرات أدبية في بعض الدول العربية .

ثمرات المطابع من منشورات دار الرفاعي الجديدة

يصدر قريباً عن دار الرفاعي

- أدب عبدالعزيز الرفاعي .. دراسة فنية وموضوعية
إبراهيم الشتوي .
- رحلة الحج الجوية .. ترجمة غالب المصري
- قصة حياة .. مذكرات .. ذكريات عبدالعزيز الرفاعي
- فوات الأعلام مع الاستدراكات والإسهام في إتمام الأعلام
عبدالعزیز الرفاعي
- الراحلون تأليف عبدالعزيز الرفاعي
- ديوان عبدالعزيز الرفاعي .. تحقيق د. عائض الرادادي
- شعراء صحابيون تأليف د. محمد علي دقة
- شعراء مغمورون .. ابن المولى عبدالعزيز الرفاعي
- العربية لغة الإعلام للدكتور عبدالعزيز شرف (طبعة ثانية)
- مرثيات .. أشعار ومقالات .. في تأبين عبدالعزيز الرفاعي

اتصلوا به :

دار الرفاعي

لِلنَّشْرِ وَالطَّبَاعَةِ وَالتَّوْزِيعِ

ص.ب. ١٥٩٠ - الرياض ١١٤٤١ - تليفون : ٤٧٨٨٨٣٣

فاكسيلي : ٤٧٩٤٣٢١ - المملكة العربية السعودية

هذا الكتاب

قُدِّر لهذا الكتاب أن يطوي عقوداً من الزمان قبل أن يرى النور ، فقد شرع فيه الباحث قبل أكثر من عشرين عاماً ، وبذل فيه وسعه لينير زاوية مظلمة من أدب ابن جبير الأندلسي هي الشعر ، فأخذ يتعهده بالتهذيب والتشذيب حتى استوى على ساقه بصورة جديدة متكاملة ، بعد أن رجع من أجله إلى مخطوطات تليدة ومصادر جديدة وبحوث طريفة . وهو وفاء أدبي لشخصية ذات مكانة مرموقة مشهود بفضلها وعلو منزلتها في الأدب العربي الأصيل .

يحتوي هذا الديوان سبعة وثمانين نصاً ، بين قصيدة طويلة ، أو مقطوعة قصيرة ، أو بيت يتيم في حوالي خمسمائة بيت ، وهو نزر يسير مما خلفه الشاعر ، وأشار إليه المؤرخون من راصدي الحركة الأدبية ، لكنه يعطي صورة واضحة جليلة عن شاعريته . كما جمع الديوان ما تناثر من نشره بين المصادر والكتب .. مخطوطها ومطبوعها ، وهي نصوص يسيرة بلغت تسعة نصوص بين كلمة موجزة ورسالة إخوانية ، وقف عندها جميعها بالدراسة والبحث محلاً لإياها ، منتهياً إلى أحكام عامة في سماتها الفنية في كل من الشعر والنثر ؛ لذلك يأتي الكتاب في قسمين رئيسيين : هما الدراسة والتحقيق .

لقد أدرك معالي الشيخ عبدالعزيز الرفاعي يرحمه الله صاحب الدار بحسه المرفه وذوقه الرفيع .. القيمة الفنية لأشعار الرحالة ابن جبير ، فكتب إلى المحقق عام ١٤١٠ هـ ، بغرض نشرها في داره العامة ، إلا أن عوائق كثيرة حالت دون نشرها أهمها وفاة الشيخ الرفاعي ، والكتاب بين يدي الطابع ، حتى واصل أبنائه مسيرة أبيهم فاهتموا بالكتاب ، ليهنأ محبو الأدب بعامة ، والأدب الإسلامي والأندلسي بخاصة بهذا النتاج القيم الرفيع . كذلك أكد الدكتور عماد الدين خليل الباحث المتخصص في دراسة الأب الإسلامي قيمة هذا الديوان النفيس ، فكتب تقديماً ضافياً له يعد نموذجاً للنقد التطبيقي الرفيع . وهاهو « ديوان الرحالة ابن جبير الأندلسي » تضعه دار الرفاعي بين يدي القارئ ليجد فيه المتعة والفائدة .

الناشر